رحلة "روي جونزاليز دي كلافيخو" سفيراً لـ "هانري (إنريكي) الثالث" ملك مملكة قشتالة المسيحية إلى بلاط تيمور لنك من خلال مقدمة المستشرق البريطاني "كي لسترنج" - دراسة وترجمة

الأستاذ المساعد الدكتور
علي زهير هاشم الصراف
جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة
aliz.hashim@uokufa.edu.iq

The Voyage of "Roy Gonzalez de Clavijo" The Ambassador of "Henry (Enrique) III" The King of the Christianity Kingdom of Castile to the court of Timur Lank (Timur the Lame) (Tamerlane) through the introduction of the British Orientalist "Guy Le Strang" - A Study and translation

Asst. Prof. Dr.
Ali Zuhair Hashim Al-Sarraf
Kufa Studies Center – University of Kufa

الملخص:-

تعد نصوص الرحلات من أهم نوافذ المعرفة التاريخية والجغرافية لمختلف البلدان وتمكننا من دراسة تاريخ العلاقات وطبيعتها بين مختلف الشعوب والقوميات وبمختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

كما أن رحلات الأوروبيين إلى المنطقة العربية كانت إحدى أبرز النوافذ التي اطلعت من خلالها المعارف الأوروبية على العرب والمسلمين، ولعب الرحالة دور الناقل الناقد للشعوب العربية المسلمة وتاريخها وحضارتها وواقعها.

ولعل من أهم أنواع الرحلات عبر التاريخ هي الرحلات السياسية أو الدبلوماسية كون المرتحل سيكون مأموراً من قبل شخصية سامية لأداء أمور دبلوماسية وأن جهة سامية أخرى ستستقبله. كما أنها تمتاز بمرافقة الوفد الزائر (السفراء) لزيارة مختلف الأماكن الحساسة أمنياً من قبيل القصور وأماكن إقامة الملوك والأمراء رفقة وفد أمني خاص يجعل الرحالة السفير يتمكن من تصوير تلك الأجواء ولو بعد حين.

ولعل رحلة سفير مملكة قشتالة المسيحية النبيل الثري "روي جونزاليز دي كلافيخو" (ت ١٤١٤ م) ونديم الملك القشتالي المعروف "هانري" (إنريكي) الثالث (حكم: ١٣٩٠ - ١٤٠٦ م/ ٧٩٣ - ٨٠٨ هـ) والمسؤول عن التشريفات في بلاطه هي من أقدم الرحلات الأوروبية الى المشرق الإسلامي التي سيتناولها بحثنا من خلال مقدمة أحد المستشرقين الأوروبيين ممن اهتموا بها.

الكلمات المفتاحية: كي لسترنج، دي كلافيخو، الرحلات الأوروبية، العلاقات الخارجية، العصور المتأخرة، التبشير المسيحي.

Abstract:-

The texts of the Voyages are one of the most important ways of historical and geographical knowledge of different countries and enable us to study the history and the nature of the relations between different nations and nationalities with its various political, economic, social, cultural and other aspects.

As that, the Voyages of Europeans to the Arab region was one of the most prominent way through which the European knowledges met with the Arabs and Muslims, and the European Voyagers played the role of the critic conveyors of the Arab Muslim nations and their history and civilization and their realities.

Perhaps one of the most important types of Voyages through the history is the political or diplomatic Voyages, that a Semitic person will cost the Voyager to perform diplomatic matters, and that another Semitic person will receive him. It is also Featured because of the visiting delegation (ambassadors) accompanied by a special security delegation to visit various security sensitive places such as palaces and the residence of kings and princes, that makes the traveler the ambassador able to Describe those atmosphere even after a while.

Moreover, perhaps the Voyage of "Roy Gonzalez de Clavijo" (d. 1414), the wealthy, noble, Companion and the Ambassador of the Kingdom of Castile, known as "Henry" (Enrique) III (1390 1406 AD / 793 808 AH) was the oldest European Voyages to the Islamic Orient land which will be addressed by our present research through the introduction of one of the Europeans orientalist who concerned about it.

Key Words: Guy Le Strange, De Clavijo, European Voyages, The Foreign Relations, The Last Islamic Ages, The Cristian Preaching.

المقدمة:

تعد نصوص الرحلات من أهم نوافذ المعرفة التاريخية والجغرافية لمختلف البلدان وتمكننا من دراسة تاريخ وطبيعة العلاقات بين مختلف الشعوب والقوميات في البلد الواحد أو مختلف البلدان وبمختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

كما أن رحلات الأوروبيين إلى المنطقة العربية كانت إحدى أبرز النوافذ التي اطلعت من خلالها المعارف الأوروبية على العرب والمسلمين، ولعب الرحالة دور الناقل الناقد للشعوب العربية المسلمة وتاريخها وحضارتها وواقعها.

وفي هذا السياق فإن لرحلات الأوروبيين أنواع مختلفة ولأصحابها دوافع وأغراض.[١] ولعل من أهم أنواع الرحلات عبر التاريخ هي الرحلات السياسية أو الدبلوماسية كون المرتحل سيكون مأموراً من قبل شخصية سامية لأداء أمور دبلوماسية والارتحال لبلد ستستقبله أيضاً جهة سامية أخرى وسيوفر له كلا الطرفين المرسل والمستقبل كافة سبل الراحة طيلة رحلته، عدى ما يمكن أن يلاقيه من مخاطر فيما إذا كان الوفد المرافق له قد تعرض لأمور طارئة لم تعد في الحسبان. كما أنها تمتاز بمرافقة الوفد الزائر (السفراء) لزيارة مختلف الأماكن الحساسة أمنياً من قبيل القصور وأماكن إقامة الملوك والأمراء وسائر الأبنية والأروقة الحكومية رفقة وفد أمني خاص يجعل الرحالة السفير يتمكن من تصوير تلك الأجواء ولو بعد حين.

ولعل رحلة سفير مملكة قشتالة المسيحية النبيل الثري "روي جونزاليز دي كلافيخو"[٢] (ت١٤١٤م) ونديم الملك القشتالي المعروف هانري (إنريكي) الثالث[٣] (حكم: ١٣٩٠ - ١٤٠٦م) والمسؤول عن التشريفات في بلاطه هي من أقدم الرحلات الأوروبية الى المشرق الإسلامي. وقد صنفها كلافيخو بعد عودته عام ١٤٠٦م/ ٨٠٨هـ أي ما يقارب من الخمسين عاماً قبل اختراع صناعة الطباعة في الغرب وهذا يفسر بقاء نسخ منها حتى يومنا هذا. وقد تناولها المستشرقون بالدراسة والترجمة وتلاقفتها أفكارهم كونها لسفير أوروبي كتبها بلغاتهم وكان قد ارتحل إلى المشرق الإسلامي في وقت مبكر وأنه قدّم من خلال رحلته تفاصيل هامة عن أوضاع المشرق السياسية والادارية والاجتماعية.

ومن أبرز المستشرقين ممن نالت هذه الرحلة اهتمامه المستشرق البريطاني الأصل كي لسترنج [٤] (ت١٩٣٣م) الذي كانت رحلة ترجمته لهذه الرحلة شاقة كما يصفها هو في مقدمته. فقد قام بمراجعة ترجمة المستشرق السير كليمنس مارك هام[٥] (ت١٩١٦م) الذي كان قد التقى به في آخر سنة من حياته وكان قد ذكر للسترنج بأن ترجمته أصبحت قديمة وقد أظهر تأسفه على عدم نهوضه بأعباء هذا الأمر بنفسه. وكان السير ماركهام قد أصدر هذه الترجمة الإنجليزية لرحلة كلافيخو عن الطبعة الإسبانية في عام ١٨٨١ م التي تضم أيضاً الترجمة الروسية لها والتي قام بها "ي. سرزينفسكي"[٦]. وقد أبدى لسترنج أسفه لعدم استطاعته الاستفادة من تعاليق المترجم الروسي على ترجمة الرحلة، لكنه ذكر أن صديقه "الدكتور الليس منز"[٧] (ت١٩٥٣م) قام بترجمة المقدمة له بشكل شفهي، وقد علم أن المترجم الروسي لم يكن يعلم بوجود مخطوطتين لرحلة كلافيخو تحفظان في مكتبة مدريد الوطنية واللذان استخدما في الطبعة المعتبرة في عام ١٥٨٢ م. وكان لسترنج قد استعان بالسيد "ج. ب. ترينـد" [٨] (ت ١٩٥٨ م) في قراءة هذه المخطوطات ومقارنة بعض الجمل المتبقية من ترجمته مع الأصل الإسباني. وكان لسترنج قد قام بمطابقة أسماء المدن التركية والفارسية مع الأصل في زمانه من خلال الاستعانة بخبرات صديقه البروفيسور "خانيكوف" [٩] (ت١٨٧٨م) وطابق الباقي بالاستعانة بترجمة سرزينفسكي الروسية مع تصحيحات على تلك المدن التي مر بها لسترنج بنفسه أثناء رحلته من تبريز إلى سرخس في عام ١٨٨٧ - ١٨٨٨م/ ١٣٠٥ - ١٣٠٦هـ على الخرائط التي رسمها لسترنج بنفسه وضمها لترجمته، أما التي لم يستطع أن يطابقها فقد اتبع فيها إملاء كلافيخو لألفاظها. أما فيما يخص التواريخ الواردة في متن الرحلة فقد قام بتدقيقها بحسب جداول لأيام الأسابيع وما يطابقها من أيام الشهور الميلادية في سنوات الرحلة الأربع (١٤٠٢ - ١٤٠٦ م/ ٨٠٤ - ٨٠٨ هـ) وصحّح بعض الأخطاء وعللها في أخطاء النسّاخ في قراءة الأرقام الرومية. [١٠]

وقدر تتبعي فإني لم أجد دراسة عن هذه الرحلة وأهميتها بالعربية أضف إلى أنني لم أجد لها ترجمة إلى العربية أصلاً. فكانت فكرة إعداد هذا البحث الذي يتكون من جزئين: الأول نزر يسير ومقتضب من سيرة المستشرق البريطاني كي لسترنج الذاتية والعلمية، والثاني مقدمة في تاريخ رحلات الأوروبيين إلى المشرق وأنواعها مع التركيز على السنوات التي سبقت رحلة كلافيخو، ثم وصف سفارتي الملك القشتالي إنريكي الثالث ومنها الثانية

بقيادة دي كلافيخو وابتعاثه إلى سمرقند مركز بلاط تيمور من خلال ترجمة مقدمة المستشرق لسترنج على رحلة كلافيخو.

أولاً: المستشرق كي لسترنج سيرته الذاتية والعلمية

ولد لسترنج في مدينة "هونستانتون"[١١] في مقاطعة "نورفوك"[١٢] في الرابع والعشرين من تموز عام ١٨٤٥م، وتوفي في كامبريج[١٣] في نفس اليوم من كانون الأول عام ١٩٣٣ م عن عمر ناهز الثمانين سنة.

درس في "كليفتون"[١٤] وفي كلية الزراعة الملكية في "سيرين سيستر"[١٥] ثم سافر مع والدته إلى باريس وهناك افتتحت أمامه آفاق الدراسات الشرقية فيما بعد وأصبح فيها علماً يشار له بالبنان بعد أن اتصل بالمستشرق "يوليوس موهل" [١٦] (ت ١٨٧٦ م) فشوّقه إلى درس اللغتين العربية والفارسية، كما حضر دروس المستشرق "ستانيسلاس كويار" [١٧] (ت ١٨٨٤ م) في اللغة العربية. ثم زار إيران في عنفوان شبابه للوقوف على تاريخ هذا البلد وأحوالها ولغتها، فكان من ثمار رحلته هذه أن نشر قصصاً من الأدب الفارسي، كما نشر القسم الجغرافي من كتاب "نزهة القلوب" للبلداني الفارسي المشهور حمد الله المستوفي القزويني (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م) مع ترجمة له في سلسلة مطبوعات لجنة جب، وكان لسترنج من أعضاء هذه اللجنة العاملين.

ويعدّ تخصص الجغرافيا التاريخية للبلدان الإسلامية الحقل الأساس لتخصص لسترنج، فقد رفعته أعماله فيه إلى مصاف كبار المستشرقين. فمن أقواله المشهورة الدالة على عمق معرفته بأهمية تخصصه وتطبيقه على نشاطه العلمي ترديده: "لكي نفهم التاريخ الإسلامي ونستسيغه علينا بدرس التاريخ الجغرافي في العصر الوسيط دراسة وافية". وقد نشر الكثير من النصوص الجغرافية العربية المهمّة منها:

١. ترجمة ما كتبه المقدسي عن فلسطين في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" في سنة ١٨٨٦ م.

٢. نشر قطعة من كتاب "عجائب الأقاليم السبعة" لابن سرابيون المعروف بـ "سهراب" فيها صفة أنهار العراق والجزيرة، مع ترجمة إنكليزية وتعليقات وخارطة.

٣. نقل صفة إقليم فارس من كتاب "فارسنامه" للبلخي ونشره في سلسلة كتب الجمعية الآسيوية الملكية.

٤. ساهم في نشر "تجارب الأمم" لابن مسكويه الذي طبعت بعض أجزائه لجنة جب.

كما له بعض المؤلفات المستقلة في هذا التخصص منها:

١. "فلسطين في عهد الإسلام" أصدره عام ١٨٩٥ م.

٢. "بغداد في عهد الخلافة العباسية" أصدره عام ١٩٠٠ م.

٣. "بلدان الخلافة الشرقية" أصدره عام ١٩٠٥ م.

٤. العديد من المقالات في الجغرافيا التاريخية لبلاد الإسلام نشرها في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية منذ انتخابه عضواً فيها حتى وفاته.

وقد كلفته دراسته تلك وانقضاضه على المعرفة بصره، فكفّ عام ١٩١٢ م. ولم يحل العمى دون مواصلة نشاطه العلمي، فكان يلجأ إلى من يقرأ ويكتب له. وانكبّ وهو في هذه الحالة على دراسة الإسبانية فأثمر ذلك عن نشره سنة ١٩٢٠ م "كتاب الأغاني الإسبانية"، وفي سنة ١٩٢٦ م نقل من الإسبانية تاريخ دون خوان الفارسي، وفي سنة ١٩٢٨ م نشر حوادث "سفارة كلافيخو" تحت عنوان: "The Embassy of Clavijo". كما مكنته صداقته مع المستشرق "إدوارد براون" [١٨] (ت ١٩٢٩ م) من العمل في جامعة كامبريج إذ ألقى محاضرات كثيرة في شتى الموضوعات، وقد اشتغلا معاً في لجنة "جب" [١٩] التذكارية. [٢٠]

ثانياً: أوروبا ورحلات الأوروبيين إلى المشرق بعد سقوط الخلافة العباسية

أرى أن المستشرق الإنجليزي كي لسترنج قد أحسن وصف رحلة السفير كلافيخو في مقدمته التي جعلناها أساساً لبحثنا هذا ولكن يمكننا وفي هذه العجالة أن نلقي نظرة فاحصة لتاريخ الرحلات الأوروبية إلى المشرق، لنكون قد أكملنا جهد المستشرق كي لسترنج في تقديمه لرحلة كلافيخو وأن نخرج بتاريخ شامل للصلات العربية الأوروبية من خلال نصوص الرحلات.

إن جل ما في أدب أوروبا الغربية عدى الأندلس وجنوب إيطاليا من معلومات عن

الشرق كان أدباً قصصياً أسطورياً ضخمته الأيام والأزمنة وعمقته المعتقدات الدينية الممتزجة بجنة عدن ومكانها ومحاولات علماء المسيحية لتفسير الظواهر العلمية بحسب التفسير الحرفي للكتب السماوية، وقوّاه ما نسج حول الإسكندر الكبير من أساطير. ولذلك فقد ظلت معرفة الناس العاديين بالشرق وخاصة الشرق النائية معرفة ضبابية. (٢١)

وكانت الرحلة إلى المشرق بالنسبة للأوروبيين قبل القرن الرابع عشر الميلادي خاصة تعدّ نوعاً من التكملة للحج إلى الأراضي المقدسة. فالسفر في بحر يتزاحم فيه القراصنة من مختلف الجنسيات باتجاهه أراض تتكاثر فيه المخاطر من حقيقية من قبل بعض القبائل البدوية في فلسطين وسوريا (الشام) أو من نسج خيالات خصبة، كان يتطلب دافعاً عظيماً وجهداً جباراً. فكان الهم الأساسي هو الوصول إلى القدس، وكان المبشّرون وحتى التجار والدبلوماسيون الذين يؤمّون بلاد المشرق لأسباب مختلفة، يبدؤون زيارتهم بها. من هناك، وبعد التعرّف على حقيقة صعوبات السفر، كان الأوروبي ينطلق إلى زيارة بقية نواحي بلاد الشام أو يبحر مجدداً إلى مصر. وكانت الرغبة غالباً ما تبدأ بروما من أجل الحصول على البركة الرسولية التقليدية، أو من مرسيليا بوابة الشرق الحقيقية. وبعد التوقف في الجزر اليونانية وزيارة إسطنبول يصل المسافر إلى ساحل الشام ماراً بجزيرة قبرص.(٢٢)

ومن أبرز أنواع الرحلات الأوروبية كما أسلفنا هي رحلة الحج إلى الأراضي المقدسة، فقد ظهر عدد كبير من الحجاج الذين عكفوا على تسجيل رحلاتهم التي وصفوا فيها جغرافية الأرض المقدسة وسكانها، فأصبحت بمثابة دليل سياحي لمن يرتاد تلك المناطق، إلا أن المؤكد أن رحلات الحج هذه لم تكن يسيرة ممكنة إلا في عهد الإمبراطور قسطنطين (حكم: ٣٠٩ - ٣٣٩م)(٢٣) الذي اتبع سياسة التسامح مع المسيحية وباقي الأديان في الإمبراطورية الرومانية. ومن أقدم الرحلات رحلة القديس جيروم(٢٤) (٣٤٧ - ٤٢٠م) التي وصفها في رسالتين يدعو رعاياه إلى القيام برحلة الحج للتكفير عن الذنوب والتعبد في الأماكن التي ولد وعاش فيها المسيح (عليه السلام) لما لها من قدسية، فتزايد عدد الرحلات، وكثرت المؤلفات التي تتحدث عن الحج والطرق المؤدية إلى الأراضي المقدسة منها: رحلة "سيوولف" (٢٥) إلى الأراضي المقدسة، ورحلة دانيال الراهب (٢٦) الذي رافق بلدوين الأول (٢٧) ملك بيت المقدس (حكم: ١١٠٠ - ١١١٨ م/ ٤٩٣ - ٥١٢ هـ) في حملته ضد

إمارة دمشق وفي زيارته إلى كنيسة القيامة، وألف كتاباً عن تفصيلات هذه الرحلة والأماكن التي مرّ بها. ولم تقتصر هذه الرحلات على الرجال فقط، فقد كان للنساء أثر مهم. وأبرز هذه الرحلات كانت رحلة أيو فروزين [٢٨] الأميرة الروسية. [٢٩]

ولم تقتصر الرحلات الأوروبية إلى الأراضي الإسلامية على العنصر المسيحي فقط بل نجد أن هناك رحلات تتعلق باليهود دون التاريخ أسماء بعضهم ووصلتنا رحلات البعض الآخر. وكانت أسفار اليهود في الأغلب الأعم في مجال التجارة فضلاً عن رغبتهم في القيام بالحج إلى بيت المقدس حيث توجد العديد من المواقع المقدسة لديهم خاصة مقابر كبار رجال الدين اليهود، وفي هذا المجال ترك الرحالة اليهود عدة مؤلفات كانت بمثابة المرشد أو الدليل الجغرافي لإخوانهم الذين رغبوا في الارتحال إلى تلك المدينة المقدسة، وفي ذلك اتفقوا مع الرحالة المسيحيين الذين ألفوا مؤلفات في نفس المضمار، وفي المرحلة السابقة على اندلاع الحروب الصليبية وقيام مملكة بيت المقدس اللاتينية أشار الرحالة المسلمون إلى تدفق أعداد كبيرة من اليهود لزيارة المدينة.[٣٠] ومن أبرز الرحالة اليهود الذين سافروا إلى المشرق هو الإسباني بنيامين التطيلي[٣١] الذي زار المشرق في العصر الوسيط. وبدء رحلته من مدينة طليطلة[٣٢] المنتسب إليها وتنقّل في إرجاء أوروبا من جنوب فرنسا وإيطاليا واليونان والقسطنطينية، ومنها إلى بلاد الشام وأراضيها المقدسة في فترة الاحتلال الصليبي، مصر، والعراق حاضرة العالم الإسلامي، وتحدث عن جزيرة العرب وغيرها من المناطق القريبة منها، ثم عاد إلى إسبانيا في عام ١١٧٣ م/ ٥٦٨ هـ.[٣٣] وتميّزت هذه الرحلة بأهميتها الخاصة المتمثلة بتسليطها الضوء على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والمذهبية للمناطق التي زارها مع التركيز على اليهود في المنطقة وأعدادهم وأوضاعهم وزعاماتهم الدينية، وأبرز شخصياتهم وعلمائهم.[٣٤]

إلا أننا نجد بعض الرحلات الأوروبية التي أخذت تنضج علمياً بقليل، إلا أن أغلبها ذات طابع تبشيري ولا يوضع هذا الأمر إلا في سياق توجهات أوروبا لنشر المسيحية في المشرق، وأخذ هذا النشاط بالازدهار في المشرق مروراً بالأراضي الإسلامية بعد سقوط الخلافة العباسية خاصة وإن كانت لهذا الأمر بوادر وشواخص مهمّة قبيل سقوط الدولة العباسية. وقد اضطلع البابا "أنوسنت الرابع" [٣٥] (١٢٤٣ - ١٢٥٤ م/ ٦٤١ - ٦٥٢ هـ) بهذه

المهمة أيما اضطلاع خاصة بعد أن أدرك مدى الخطر الذي يحدق بأوروبا من جراء الغزاة المغول ولمس بنفسه مدى تفكك الغرب ومدى وطأة الصراع مع البيزنطيين فضلاً عن عجزه في تأليف قوة حربية لمواجهة هذا الخطر الداهم. ولهذا وجد أن أفضل السبل المتاحة له هو إيفاد الرسل والمبعوثين للمغول. وشجعه على اتخاذ هذا القرار رواية أحد زملائه من الأساقفة الروس عن معتقدات المغول واحترامهم للسفراء [٣٦]؛ فبعث أربعة سفارات للمغول لغرض التبشير ودعوتهم لإعتناق المسيحية خاصة في عهد الخاقان الأعظم كيوك بن أوغطاي بن جنكيز خان (حكم: ٦٤٤ ـ ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٦ ـ ١٢٤٩ م) الذي كانت لديه ميول للديانة المسيحية بسبب أمه "توراكينا خاتون" التي كانت تدين بالمسيحية. ولهذا عهدت للأمير المسيحي "قداق" بالإشراف على تربية ابنها الصغير كيوك منذ الصغر. ولما اعتلى عرش المغول، قرّب إليه "جيتقاي" مستشار ووزير أبيه الذي كان يدين بالمسيحية أيضاً وقلّده منصب الوزارة فكان يعطف عطفاً شديداً على رعاياه المسيحيين من أمثال الأرمن والكرج والروس [٣٧]، هذا عن سياسة كيوك الخاصة فضلاً عن سياسة المغول العامة في الحرية الدينية والذي اشتهر في المصادر المسيحية اللاتينية في تلك العصور بـ "السلام التتري" فقد استطاع كل من الكاهن النسطوري والرحالة المسلم والمبعوث الكاثوليكي أن ينتقل في جميع أنحاء البلاد الخاضعة لحكم التتار، فقد أوضحت تاريخ هذه التحركات المسيحية الوثائق التي تشمل كتابات الرحالة الغربين والرسائل الدبلوماسية المتبادلة بين البابا أنوسنت ولويس التاسع ملك فرنسا من ناحية وبين خانات التتار من ناحية أخرى والنصوص التي سجلتها البعثات الدينية من لدن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. فهذا التسامح التتري والعطف على المسيحيين والنساطرة منهم بصفة خاصة، شجّع الرهبان المسيحيين على ارتياد أواسط آسيا غير مبالين بالصعاب والمخاطر التي قد تعترض طريقهم. وترتب على ذلك أن أخذ الغرب يرسل البعثات الدينية إلى خانات منغوليا وفارس آملاً في كسبهم إليه.[٣٨]

وقد شملت هذه السفارات الأربع كما أسلفنا على: اثنتين منها من جماعة الرهبان الفرنسيسكان[٣٩] والأخيرتين بقيادة اثنين من جماعة الرهبان الدومنيكان.[٤٠] أما الرهبان الفرنسيسكان فكان أولهما لورانس أو لورنزو البرتغالي[٤١] الذي اختير للذهاب إلى البلاط التتري عن طريق أرمينية وفارس. إلا أن البابا غير مسار رحلته إلى المشرق اللاتيني لتؤدي

رسالة أخرى هي حث الأمراء المسلمين في بلاد الشام وآسيا الصغرى على اعتناق الديانة المسيحية وإقناع رجال الدين النساطرة واليعاقبة والإغريق لتوحيد كنائسهم تحت لواء الكنيسة الكاثوليكية في روما. (٤٢) أما السفير الثاني "جيوفاني دا بيان ديل كاربيني" (٤٣) فقد بعث في سنة ١٢٤٥ م/ ٦٤٣ هـ لهذه المهمة. ولما عاد وضع كتاباً في "تاريخ الصين" الذي يعتبر وصفاً فيه الكثير من الخبر الصحيح. (٤٤) وكان قد غادر ليون في السادس عشر من نيسان وسار في الطريق الشمالي عبر بوهيميا وسيليزيا إلى كييف ومنها واصل الرحلة إلى سيرا أردو (٤٥) حيث المعسكر الإمبراطوري في منغوليا على مسيرة نصف يوم من قراقوم، وقد بلغها في تموز من العام المقبل في رحلة شاقة مات بعد عودته منها بقليل. وقد استقبله التتار بحفاوة وهناك شاهد حفلة تتويج كيوك خان في ١٥ من آب. وظل ضيفاً في بلاط الخان الأعظم حتى الثالث عشر من تشرين الثاني. وفي نهاية سنة ١٢٤٧ م/ ٦٤٥ هـ عاد ومعه ردود كيوك خان إلى أنوسنت الرابع. (٤٦)

أما الرهبان الدومينيكان فكان أولهما بعثة "أندريه دي لونج جوميو" (٤٧) الذي أرسله البابا على رأس مجموعة من الرهبان الدومينيكان لتسليم رسائله لقادة المغول في فارس وآسيا الصغرى، وكتابة معلومات وافرة عنهم. وقد تقابل مع فرقة مغولية في منطقة تبريز، وقام بتسليم خطاب البابا لقائد هذه الفرقة الصغيرة، ولكنه فشل في مقابلة القائد المغولي بايجو (٤٨) في غرب آسيا. ومن ثم رجع هو ورفاقه إلى مدينة ليون الفرنسية لمقابلة البابا عام ١٢٤٧ م/ ٦٤٥ هـ. أما المبعوث الدومينيكي الآخر فكان راهباً يدعى أسلين (٤٩) اللومباردي برفقة ثلاثة من جماعته. وبدأ أسلين رحلته في يونيو ١٢٤٥ م/ ٦٤٣ هـ من مدينة ليون ووصل إلى تفليس، وقد انضم إليه رفاقه في طريقه إليها. وتقدّم منها عبر أرمينية وجورجيا وسورية وفارس إلى معسكر باتو خان المغول العظيم في آسيا الغربية وبقي هناك حتى تموز من السنة نفسها. وقد أرسل القائد باتو مع ممثلي البابا سفيرين من قبله بداعي التجسّس لمعرفة مدى قوة كل من البابا والدول الغربية. وقد عقد البابا أنوسنت الرابع عدة اجتماعات مع السفيرين الشرقيين ليعرف مدى استعداد شعبهما للتحول إلى الكاثوليكية والتعاون مع الغرب. (٥٠) وما من شك أن هذه المحاولات قد أنارت الطرق أمام "لويس التاسع" (٥١) ملك فرنسا (حكم: ١٢٣٦ - ١٢٧٠ م/ ٦٣٣ - ٦٦٨ هـ) عندما اتصلت السفارة بينه وبين التتار في كل من قبرص والقيسارية.

فقد أرسل "لويس التاسع" بعثتين إلى المغول: الأولى كان الشخص البارز فيها لونج جوميو الآنف الذكر (١٢٤٩ م/ ٦٤٧ هـ) رداً على السفارة التي بعثها المغول لملك فرنسا مبدين استعدادهم للتحالف معهم ضد المسلمين، وهناك أدلة تؤكد عدم صحة حدوث هذه الأخيرة أساساً [٥٢]، وكان لويس قد قدم من فرنسا إلى قبرص للتحضير لحملة صليبية لاستعادة القدس ومن هناك بعث هذه السفارة، فقطع السفراء الرحلة من قبرص إلى أنطاكية ثم إلى الموصل، ومنها إلى تبريز، ومن هناك أرسلهم القائد المغولي في تبريز إلى قراقوم، وكانت زوجة كيوك خان وصية على العرش عقب وفاة زوجها، فأجابت بعثة لويس التاسع بلغة استعلائية منعت التحالف بين أوروبا والمغول أيضاً. أما البعثة الثانية التي تشكّك المصادر أنها كانت من قبل لويس التاسع كونه كان قد امتعض من رد سفارة لونج جوميو أشد امتعاض وغيرها من الأدلة [٥٣] كان قوامها الراهب الفرنسيسكاني "وليم دي روبروك" [٥٤] (١٢٥٣ - ١٢٥٥ م/ ٦٥١ - ٦٥٥ هـ). وقد كتب روبروك أخبار رحلته ومخاطراته في الشرق الأقصى على هيئة مذكرات وجهها إلى القديس لويس. واعتبر علماء الشرق الأقصى هذه المذكرات مصدراً له أهمية كبيرة فيما يخص بأحوال الهجرة والارتحال في آسيا في العصور الوسطى، ولا سيما للأجناس التترية في ذلك الزمان. وتعرض فيها لتقاليد التتار وطبائعهم وعاداتهم الاجتماعية وغير ذلك مما صادفه في رحلته. بالإضافة إلى وجود أدلة قوية للنشاط التبشيري في منغوليا، ومادة طيبة عن موضوع التعاون بين الشرق الأقصى والغرب الأوروبي للقيام بحملة صليبية مشتركة تحقق أطماعهما التي لا تنتهي في الشرق الإسلامي. [٥٥] وكانت مبتدأ رحلته من مدينة عكّا في بلاد الشام إلى القسطنطينية إلى بلاط القبيلة الذهبية المغولية شمال البحر الأسود وبلاط "سارتاك" ومن هناك إلى بلاط باتو خان على الضفة الشرقية لنهر "الفولجا" في مدينة اسمها "أردو" ومن هناك إلى بلاط "منكو خان" كبير خانات المغول بالقرب من قراقوم في أواخر كانون الأول من عام ١٢٥٢ م. إلا أن هذه البعثة أيضاً لم تجني شيئاً واصطدمت بغطرسة المغول واستعلائهم على كافة الشعوب والديانات فاضطر روبروك إلى العودة مزوداً بردود منكو خان إلى لويس التاسع بضرورة أن يصبح تابعاً للمغول ليكسب صداقتهم ويعيش معهم في سلام. [٥٦]

وكما ذكرنا آنفاً هناك رحلة استثنائية مهمّة كانت قبل بداية القرن الرابع عشر الميلادي الذي كنا قد اتفقنا عليه سابقاً لسرد بداية اتصال أوروبا بالمشرق من خلال نصوص الرحلات، وهي رحلة التاجر البندقي المعروف "ماركو بولو" (١٢٥٤ - ١٣٢٤م/ ٦٥٢ - ٧٢٤هـ) الذي ولد في عائلة نبيلة. وكان والده وعمه نيكولو ومافيو بولو غائبين ساعة مولده في مهمة تجارية إلى الصين استمرت حتى العام ١٢٦٩ م/ ٦٦٧ هـ، وكانا أول الأوروبيين الذين ساروا براً من شبه جزيرة القرم إلى بكين حيث استقبلهما قوبيلاي قاآن خان منغوليا الأعظم، وطلب منهما أن يعودا إلى البابا رسولين من قبله، ليطلبا إلى البابا يبعث بمائة من أهل العلم ليقوموا بتوضيح أوروبا لأهل البلاط المغولي وليتعرّفوا إلى ما عند المغول. ولما لبّى البابا الطلب، أرسل الأخوين بولو ومعهما راهبان لكن هذه المرة كان ماركو مرافقاً للركب في الرحلة إلى الصين إلى البلاط المغولي. ولما وصل أفراد أسرة بولو الثلاثة استعملهم الخان في إدارة الحكومة، لأنه كان يحبّ أن ينوّع الموظفين. وبعد سنوات طويلة قضاها الثلاثة في تلك البلاد النائية قام خلالها ماركو برحلات طويلة في الصين، فزار البلاد من طرف إلى طرف حاملاً رسائل إلى حكّام الخان الأمر الذي يسّر له التعرّف على كثير من أمور البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وعاد ماركو بولو من الصين بحراً من تسوتونغ ماراً بسومطرة والسيلان وملَبار (الساحل الغربي للهند) والخليج العربي. وقد وصل البندقية أخيراً سنة ١٢٩٥ م/ ٦٩٤ م. وأصبح ماركو رباناً لسفينة في ١٢٩٨ م/ ٦٩٧ هـ في الأسطول الموجّه إلى جنوا، وأخذ أسيراً بعد هزيمة البندقية في "جورزولا". وبينما هو في أسره أملى بياناً عن أسفاره على رفيق له في السجن. (٥٧) وتمتاز رحلة ماركو بولو بعدم الانحياز والإنصاف بحيث كان يشير إلى تفوّق أهل الصين على الأوروبيين عندما كان يرى ذلك. كما أنها مميّزة من ناحية دقّة ماركو في الوصف بحيث عدّت رحلته أوفى وأدق رحلة كتبت عن الصين حتى سنة ١٥٥٠ م/ ٩٥٧ هـ. ومن خلال كتاباته عرف الأوروبيون أن الصين أوسع بلد في الدنيا وأغناها وأكثرها سكاناً، فقد وصف مدنها وأقنيتها الكبرى ـ أي طرق التجارة النهرية ـ وأنهارها وموانئها وصناعاتها ومواردها الطبيعية ونباتها وحيواناتها وعادات سكانها ونظمها. (٥٨) كما برز هناك من الباحثين الغربيين ممن درسوا رحلة ماركو بولو وشككوا في حدوثها أصلاً وأسندوا ذلك لأدلة كثيرة منها المبالغات الكبيرة في أوصاف بلاط قوبيلاي المغولي كذلك أوصافه

الجسدية البعيدة عن أوصاف المغول، وعدم وجود أي دليل على أي اعتراف بابوي بأي من أفراد عائلة بولو ومناحي رسالتهم الدينية تماماً، كما لم يرد أي اعتراف رسمي في سجلات مسقط راسهم البندقية بأسفارهم، والأغرب من ذلك أن الصين البلد الذي اتجهوا إليه كان يعرف بكثرة الوثائق المسجلة تاريخياً وعلى مختلف الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وربما ماركو بولو الذي ادعى لنفسه صلة حميمة بالخان أهلاً لأن يرد له اسماً في مجلدات الوثائق الصينية بل والمغولية أيضاً. (٥٩)

وبعد هذا المختصر عن تاريخ الرحلات الأوروبية للمشرق وذكر جملة من أهم أنواعها والنصوص التي وصلتنا قبل رحلة السفير كلافيخو لنعد ونلتمس أجواء هذه البعثة وما حولها من أخبار. فقد كانت السفارة التي ترأسها دي كلافيخو هي البعثة الثانية التي أرسلها إنريكي الثالث ملك مملكة قشتالة. وكانت البعثة التي سبقت رحيل دي كلافيخو التي ذكرها كلافيخو نفسه في الفصل الأول من رحلته إلى بلاط تيمور تتألف من سفيرين هما: "هرنان سانشيز دي بالازويلو" (٦٠) و"بايو دي سوتومايور" (٦١) ليكتبا له تقريراً عما يحدث في تلك المناطق. وقد وصلا إلى معسكر تيمور في أنقرة وقد أحسن استقبالهم. كما أن تيمور قد استحسن الرد على هذه السفارة للملك إنريكي الثالث قبل الرحيل من أنقرة بإرسال سفارة محملة بهدايا نفيسة جداً رفقة هذه البعثة من السفراء الإسبان ليكونوا أدلائهم على الطريق. وكان سفير تيمور إلى ملك قشتالة تركي جغتائي يدعى "حاجي محمد"، وتفيد التقارير أنه سلّم الملك إنريكي الثالث رسالة تيمور وتحفه الثمينة والمجوهرات والسرايا المسيحيات التي كان قد غنمهن من العثمانيين في حرب أنقرة. (٦٢)

ورداً على هذه السفارة بعث إنريكي الثالث السفارة الثانية التي ترأسها دي كلافيخو رئيس تشريفات بلاطه ومرافقيه كل من: القسّ "فراي ألفونسو بائيز دي سانتا ماريا" (٦٣)، "وجوميز سالازار" (٦٤) من أصحاب الرتب في حرسه الخاص، ومعهم الكثير من التحف والهدايا منها قفص يحتوي على صقر وهو ما كانت تشتهر بها إسبانيا آنذاك. (٦٥) وقد التقى كلافيخو ورفاقه بتيمور في سمرقند. وقد استمرت رحلتهم لما يقارب مائة أسبوع براً وبحراً من شمال إسبانيا إلى سمرقند ذهاباً وإياباً. وقد دوّن مشاهداته لرحلته هذه عند عودته بعد عام ١٤٠٦ م/ ٨٠٨ هـ بقليل. وقد بقي منذ ذلك الحين عن اختراع المطبعة ما يقارب من

النصف قرن. وقد لاقى كتابه هذا رواجاً بين عامة الناس وعليه نسخت منه الكثير كما ذكر لسترنج في المقدمة. (٦٦)

وبعد هذه المقدمة التي آمل أن تكون قد مهدت لما قام به لسترنج من إيضاح لجهد السفير القشتالي دي كلافيخو من خلال تقديمه للوضع السياسي المقارن لرحلته إلى المشرق ومسار الرحلة وكيفيتها وذكره لتفصيلات بلاط تيمور وبلاطات أمرائه وصفة المدن والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية العامة في بلاط تيمور وغيرها من مشاهداته القيمة، إليكم نص مقدمة لسترنج التي قدّم بها رحلة كلافيخو.

ثالثاً: ترجمة مقدمة لسترنج على رحلة كلافيخو

لفهم مدى تحرّكات كلافيخو والطريق الذي سلكه في تأديته لمهامه سفيراً في بلاط الأمير تيمور، هنا نورد بعض الإشارات إلى بعض تفصيلات أحداث ذلك العصر في القسطنطينية وغرب آسيا تغنينا عن التكرار وإضافة الشروح والحواشي في متن الترجمة.

كان الأمراء والقادة الأوروبيون في عام ١٤٠٠ م (٨٠٢ هـ) مرعوبين جداً من إمكانية سقوط مدينة القسطنطينية وزوال الإمبراطورية البيزنطية. فقد كان السلطان العثماني "بايزيد" [الأول (٧٩٢-٨٠٥ هـ/ ١٣٩٠-١٤٠٢ م)] يسيطر على جميع أجزاء المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم تركيا. والإمبراطور البيزنطي "مانوئيل" (٦٧) كان لا يزال يحكم القسطنطينية وخارج سورها بمسافة قليلة من ساحل بحر المرمرة حتى البحر الأسود تبلغ خمسون ميلاً في الطول وثلاثون ميلاً في العرض. وقد سبق هذا التاريخ بأربعة أعوام (أي أيلول من العام ١٣٩٦ م (ذوالحجة ٧٩٨ هـ)) خروج جيش صليبي هجين وكبير بأمر من الكونت "نور"(٦٨) (ابن أخ شارل السادس ملك فرنسا) لحرب الأتراك وحماية "زيكسيموند" ملك المجر. إلا أن المسيحيين هربوا في حربهم الذي حدث في منطقة "نيكوبوليس"(٦٩) في الجزء السفلي من نهر الدانوب مع السلطان "بايزيد" وقتل الكثير منهم وأسر عدد يسير منهم (الذين حرروا بعد أن دفعت من أجلهم فدية باهضة). ولهذا قام الإمبراطور البيزنطي مانوئيل بغلق أبواب المدينة وحوصرت المدينة وأخذ يترقب ما سيفعله السلطان العثماني.

كان سلاطين بني عثمان يثيرون الكثير من المؤامرات ضد بلاط الإمبراطور البيزنطي.

فقد كان أبو مانوئيل يدعى "جان باليولوغ" أو "باليولوغوس" (١٣٤١-١٣٩١ م) وقد اختير أخوه الأكبر "أندرونيكوس" إمبراطوراً في أوائل عمره. (٧٠)

واتفق الإبن الأكبر لأبي السلطان بايزيد السلطان مراد في زمن حكمه (١٣٦٠-١٣٨٩ م (٧٦١-٧٩١ هـ)) الملقب بـ "صاوجي" (٧١) مع أندرونيكوس على مؤامرة تطيح بوالديهما من العرش ليجلسا معاً بدلاً منهما. لم تنجح هذه المؤامرة وقتل صاوجي وأصبح بايزيد الأخ الأصغر وريثاً للعرش وألقي القبض على أندرونيكوس وألقي مع ولده الأكبر "جون" في السجن الحكومي في القسطنطينية الذي كان يعرف بحصن "أنماس" (٧٢) ونتج عن هذا أن أصبح مانوئيل أخوه الأكبر ولياً للعهد وشريكاً للإمبراطور. إلا أنه بعد مرور سنتين تغيرت الأوضاع في القسطنطينية نتيجة مؤامرة داخل البلاط. وأودع جون باليولوغوس ومانوئيل السجن وجلس "أندرونيكوس" على العرش رفقة ولده جون. وبعد سنتين حصل تغيير مفاجئ آخر تسبب في هروب الإمبراطور الطاعن في السنّ من السجن رفقة مانوئيل واستلامهم للحكم. وجرى نفي أندرونيكوس وتجريده من صلاحياته الدستورية. إلا أنه استطاع فيما بعد رفقة جان الكبير من السيطرة على مدينة "سليمبيريا" على ساحل بحر مرمرة على بعد أميال قليلة غربي القسطنطينية وتسلم مقاليد الحكم فيها وتصالحا لعدة سنوات.

وفي عام ١٣٩١ م (٧٩٣ هـ) توفي الإمبراطور المسنّ جون باليئولوغوس ولحق به ولده أندرونيكوس الذي سكن الأديرة في أواخر عمره بعد فترة وجيزة. وعندما أصبح مانوئيل أخي أندرونيكوس إمبراطوراً رسمياً للبلاد وجلس مكان أبيه جون باليئولوغوس واجه إدعاء الملك والعرش من قبل ولده "جون". وقد كان السلطان بايزيد الذي جلس على العرش بعد والده السلطان مراد منذ عام ١٣٨٩ م (٧٩١ هـ) قد دعم جون في هذا الإتجاه.

وكان السلطان بايزيد الداعم لجون الذي جلس على العرش مكان أبيه السلطان مراد قد استطاع من فتح منطقة "نيكوبوليس" في عام ١٣٩٦ (٧٩٨ هـ). واقتراب خطر العثمانيين من أوروبا جعل حكامها تستيقظ في آخر الأمر. فقد سار المارشال "بوسيكو" (٧٣) عن طريق سواحل بحر الإيجه بجيش من المسيحيين وهاجم الجيوش التركية التي كانت قد استقرت في

الدردنيل. فقد نزلت كتيبة من الفرنسيين يتجاوز عددهم الألفي مقاتل على الساحل واستطاعت من فكّ حصار مدينة القسطنطينية وإلحاق هزيمة قاسية بأسطول السلطان بايزيد البحري. وبعد عام عاد الأتراك من جديد إلا أن بوسيكو هرب من القسطنطينية وأخذ معه الإمبراطور مانوئيل. فقد هبطا بحراً في البندقية ومن هناك ذهبا إلى فرنسا. وكان هذا الإمبراطور يدافع عن مصالح المسيحيين الشرقيين. وقبل أن يهرب مانوئيل، كان قد اتفق مع ابن أخيه جون ـ الذي وصفه كلافيخو بـ "الإمبراطور الشاب" ـ ونصبه حاكماً على المدينة بالنيابة عنه، وحكم جون في غيابه.

وكان الإمبراطور البيزنطي مانوئيل قد أهدر وقته منذ عام ١٤٠٠ (٨٠٢ هـ) إلى ١٤٠٢ م (٨٠٤ هـ) فيمن سيمده بالعون، وطاف إيطاليا وفرنسا وذهب إلى انكلترا واستضافه هانري الرابع أو "هانري لنكستر" [٧٤] إلا أن أحداً لم يقدم له العون والمدد وبعد عامين على بحثه الذي أدى إلى يأسه كرّ راجعاً إلى الشرق ونزل في اليونان. ومن هناك كان قلقاً على مركز حكمه في ظل ضعفه وعدم استطاعته وكان يرى كيف كان السلطان بايزيد قد خيّم خلف أسوار القسطنطينية وأنه كان أقوى وأقدر على الوصول إلى داخل المدينة يوماً بعد يوم.

وفي هذه الأيام هناك وقائع حدثت مما أبلت الأتراك الفاتحين بغاز يدعى الأمير تيمور (الذي عرف في أوروبا بتيمور الأعرج). فقد كان يوسع من مملكته في آسيا الصغرى في هذه الحقبة. ونتيجة هذه الأحداث تأخر فتح القسطنطينية إلى نصف قرن؛ فكان فتح المدينة في زمن حفيد بايزيد السلطان محمد الفاتح في سنة ١٤٥٣م (٨٥٧ م).

وكان تيمور المولود عام ١٣٣٥ م (٧٣٥ هـ) استطاع من السيطرة على سمرقند بعد أن تغلب على جميع منافسيه عام ١٣٦٩ م (٧٧٠ هـ).[٧٥] وفي عام ١٣٨٠ م (٨٧٢ هـ) غزى إيران وجعلها تحت راية حكمه وفي عام ١٣٩٠ م (٧٩٢ هـ) جالت خيول جيوشه على سهل القفجاق وموسكو، وفي عام ١٣٩٨ م (٨٠٠ هـ) هاجم وأغار على نواحي شمال غرب الهند. ومن ثم وعندما بلغ الخامسة والستين من عمره يمم وجهه صوب آسيا الصغرى في عام ١٤٠٠ م (٨٠٢ هـ). وبهدف غزو السلطان العثماني حاكم آسيا الصغرى وسلطان المماليك في مصر الذي كان يحكم الشام أيضاً، جالت خيول جيوشه جورجيا أولاً، ثم من

هناك اتجه جنوباً (ونهب الكثير من المدن في الأناضول). ومن ثم دخل فجأة إلى بلاد الشام وهاجم حلب ونهب دمشق في يناير من العام ١٤٠١ م (٨٠٣ م). ثم عاد إلى المشرق ووصل في تموز من نفس العام إلى بغداد ونهبها نظير ما فعله بدمشق. وفي بداية العام ١٤٠٢ م (٨٠٤م) عاد من جديد لآسيا الصغرى وتحرك مع جيشه الكبير إلى الغرب. ففي الأول من تموز وصل إلى أنقرة وفي العشرين منه حدث حرب قاسية وتمكن جيش تيمور من التاتار من هزيمة الأتراك العثمانيين هزيمة نكراء وأسر السلطان بايزيد وقيل أنه ألقي في قفص من حديد وأتي به رفقة تيمور إلى المشرق. ومات بايزيد في العام ١٤٠٣ م (٨٠٥ هـ) في وضع مأساوي وعليه فإن القسطنطينية بقيت في إيدي المسيحيين لنصف قرن آخر ولم يصبها الأتراك بسوء. ومع عودة تيمور عاد مانوئيل إلى مركزه فوراً، كما أن الإمبراطور الشاب (أي جان) عاد إلى منفاه واستقر في جزيرة "ميتيلن" (٧٦) وتزوج ابنة "غاتيلوسيو" (٧٧) صاحبها الذي كان من أقارب جان.

وقد تطرق كلافيخو لهذا الإمبراطور الشاب ومزاعمه تجاه عرش الإمبراطورية والحوادث التي أعقبته، كون الوفد الإسباني ـ الذي كان كلافيخو واحداً منهم ـ كانوا قد نزلوا جزيرة ميتيلن وسمعوا الكثير عن هذا الأمر.

ومنذ أن وصل تيمور إلى جورجيا في عام ١٤٠٠ م (٨٠٢ هـ) كانت مختلف الدول الأوروبية تترقب جميع خطواته التوسعية بدقة وشغف كبيرين، لأنه وكما قلنا فإن جميع الأنظار كانت تترقب ما كان يحدث في الشرق الأدنى.

وفي إسبانيا كان "هانري الثالث" ملكاً على كاستيل (قشتالة) وليون (٧٨). وزوجته هي ابنة "جان دوغان" (٧٩) وابنته الأخرى أيضاً كانت زوجة "جان الكبير" ملك البرتغال. وإذا نظرنا إلى تاريخ السنوات اللاحقة سنرى أن ابن أخي ملك قشتالة المعروف بـ "البرنس هانري" المعروف بـ "القبطان" الذي كان يبلغ من العمر عشر سنوات آنذاك كان يحضر لمقدمات عبور رأس الرجاء الصالح والعثور على طريق الهند، كما أن "إيزابل" (٨٠) حفيدة هانري الثالث ملك قشتالة هذا هي التي بعثت كريستف كولمبوس لأمريكا. وعن شبه جزيرة أيبريا يجب القول إن ملوك العرب في "غرناطة" (٨١) كانوا لا يزالون يسيطرون على منطقة من جبل الطارق حتى منطة غربي قرطاجنة ومنها حتى ساحل نهر "الوادي الكبير" (٨٢) شمالاً.

وكانت مقاطعة "أراغون" (٨٣) الواقعة شمال غرب إسبانيا دولة مستقلة وكان ملكها يدعى "مارتين الأول" (٨٤) وأخته أي "الملكة إلئانور" (٨٥) هي أم هانري الثالث ملك قشتالة.

والآن لنعد إلى وقائع سنة ١٤٠٢ م (٨٠٤ هـ). فمن خلال تقارير كلافيخو يبدو أن هانري الثالث وبعد عيد القيامة كان مشتاقاً جداً لاكتساب الأخبار الصحيحة والمقرونة بالحقيقة؛ وعليه بعث سفيرين إلى المشرق ليقدما تقارير عما كان يحدث هناك. هذان الشخصان خرجا في الصيف وبعد أن عبرا بحر الإيجه على متن سفينة نزلا في آسيا الصغرى ووصلا إلى معسكر تيمور في أنقرة وأدخلا عليه واستقبلا بحفاوة ولطف. وبعد انتصار تيمور في العشرين من تموز تحرّك تيمور نحو سمرقند وكان يريد قضاء الشتاء في سهول قره باغ شرق جورجيا. وقبل أن يرحل عن أنقرة رأى من الملائم أن يبعث وفد السفراء محملين بهدايا ثمينة جداً إلى ملك قشتالة "هانري الثالث" (٨٦) رداً على سفرائه وتقرر أن يرحل سفرائه رفقة سفراء الملك الإسباني ليكونوا أدلائهم على الطريق إلى قشتالة. ونتيجة هذه البعثة كانت بعثة ملك إسبانيا لكلافيخو مع مجموعة أخرى إلى بلاط تيمور. وقد رحلت هذه البعثة الدبلوماسية الإسبانية بمساعدة سفراء تيمور باتجاه معسكره وأرادوا الحضور عنده في جورجيا، إلا أن برودة الشتاء أخر رحلتهم، وفي النهاية حضروا إلى بلاطه في سمرقند.

وكانت البعثة الدبلوماسية الإسبانية تتكون من ثلاثة أشخاص. أحدهم مسؤول تشريفات الملك الإسباني وهو كلافيخو نفسه، والآخر هو القسّ "آلفونسو بائيز" (٨٧) والثالث من ذوي المناصب في الجيش الملكي يدعى "غوميز دي سالازار". وقد حملوا الكثير من الهدايا والتحف من بينها قفصاً إحتوى على صقر أو طائر الباز وكانت إسبانيا مشهورة حينها بامتلاكه. وقد خرجت هذه البعثة الدبلوماسية رفقة كثير من الخدم الذين دفن عدد منهم في إيران وسيأتي تفاصيل ذلك، وكان منهم غوميز دي سالازار الذي توفي في نيسابور إثر تعب وعناء السفر الطويل.

وكان كلافيخو قد بدأ رحته إلى سمرقند بعد أكثر من قرن على ذكر ماركو بولو طرق الوصول إلى آسيا الوسطى في كتابه الشهير. فمن إسانيا إلى سمرقند يتجاوز طول المسير سبعون درجة غرباً ولا يتجاوز أربعين درجة في العرض. هذه البعثة الدبلوماسية وصلت من قادش إلى سمرقند قبل تمام مدة بلغت خمسة عشر شهراً بعد توقفات وفترة مكوث

طويلة سيما توقف في القسطنطينية دام لخمسة أشهر. كما أن طريق عودتهم أيضاً إستمر لنفس هذه المدة والسبب هو كثرة المكوث سيما توقف في تبريز استمر لستة أشهر. كما أن مسيرهم من قادش إلى طرابوزان وبالعكس كان عن طريق البحر وهذا المسير بلغ ألفان وخمس مائة ميل. وكانت السفينة التي حملتهم من نوع "كراك" (٨٨) كان يستخدم كثيراً في بحر الروم. هذه السفن كانت تحتوي على ثلاثة أعمدة من الشراع وأظهر مرتفعة في مؤخرتها، وكان ترتيب مجموع الحبال والأشرعة فيها يكون شكل المربع وهناك شراع مثلثي كبير معلق على منتصف العمود الخلفي للسفينة. وكانوا يسافرون من "رودس" إلى القسطنطينية بسفينة أصغر تدعى "فوستا" أو "بارك" (٨٩). وأثناء عبورهم من البحر الأسود ووصولهم إلى طرابوزان وبالعكس كانوا يستخدمون سفينة خاصة تدعى "غاليو" (٩٠) التي كان فيها عموداً واحداً وشراعاً كبيراً واحداً الذي كان يربط بمنتصف العمود الخلفي. وكانت لا تتحرك هذه السفينة إلا حين يهب نسيماً هادئاً وفيها سطور عدة لمجذفين يستخدم حين تهب الريح في خلاف مسيرها.

خلّف لنا كلافيخو تفاصيل ثمينة جداً عن القسطنطينية. وكان قد تبقى نصف قرن عن دمارها وخرابها نتيجة السيطرة التركية على المدينة. ومن وصف كلافيخو لسبعة كنائس كبيرة تبقى منها اثنان فقط في الوقت الراهن. الأولى كنيسة سانت صوفي (القديسة صوفي) والأخرى كنيسة يحيى المعمّد في منطقة "إستودين" (٩١) التي هي الآن مسجد "ميرآخور". (٩٢) وما جاء من تحسين الإسبان للآثار والتراث المقدس المسيحي كان يوافق أذواق وطباع ذلك العصر. وقد عرضت عليهم في كثير من الكنائس عظام القديسين. ولم يتردد كلافيخو في صحة ما شاهده من رمح "لونغينوس" (٩٣) الذي اعتبره ما يزال مغطى بالدم، واللون الأحمر لدم عيسى لا يزال عليه طرياً وأنه قبل هذا الأمر من دون جدال. ثم شاهد المبلغ الذي دفع لـ "يهوذا" (٩٤) في مقابل تسليم المسيح والسياط الذي ضرب به جسد عيسى وقميص من دون أي فتق أو ثقب (الذي لايزال يحتفظ به في "ترو" (٩٥) باسم القميص المقدس). كما أنه شاهد تمثال السيدة مريم الذي كان قد رسمه (لوقا) (٩٦) وقطع كثيرة من خشب مطلية بالذهب للصليب الحقيقي (الذي لا يمكن التشكيك في حقيقته!). وقد أنزل السفراء في القسطنطينية في منطقة "بيرا" (٩٧) كما أنهم أدخلوا على الإمبراطور مانوئيل في قصر "بلاكرنة" (٩٨) الواقع داخل إسطنبول (٩٩) الاسم الذي أصبحت عاصمة إمبراطورية

البيزنطية تعرف به شيئاً فشيئاً. لم يبقى من هذا القصر ولا حجارة، والأثر الوحيد الباقي منه هو آثار الجدران التابعة للأبنية التي بناها الأتراك مكانه.

وكان كلافيخو وزميليه عزموا على الرحيل في تشرين الأول وكان الوقت قد فات، وكانت السفينة التي ارتحلوا فيها غرقت في مدخل مضيق البسفر. وعليه عاد السفراء وأمضوا الشتاء في بيرا. وما صدر عن كلافيخو من أوصاف لمدينة سمرقند هي نتيجة هذا التوقف في سفرهم الذي استمر لمدة أربعة أشهر. لأنهم لو حدث كما كانوا يخططون له منذ البداية من الوصول إلى طرابزون في نوفمبر، لأمكنهم الوصول إلى سهول قره باغ على سواحل نهر أرس السفلية خلال شهر كانون الأول والالتحاق بمعسكر تيمور في تلك المناطق الدافئة؛ لأن هذه البعثة غادرت طرابزون للالتحاق بتيمور في نهاية أبريل من العام القادم وكان تيمور في ذلك الحين كان قد رحل إلى موطنه، فلابدّ لهذه البعثة أنها عبرت إيران للوصول إلى ما وراء النهر. وبهذه الطريقة وجد وصف كلافيخو الهام والجذاب لتيمور وبلاطه في سمرقند.

وكانت السفينة الصغيرة التي أقلت هذه البعثة في مسيرها من القسطنطينية إلى طرابزون ترسوا على سواحل البحر الأسود الجنوبية ليلاً في الموانئ التي كان فيها الأصدقاء وأهل الملة. وكان أهل جنوة يحتلون بعض الموانئ على ساحل البحر الأسود، إلا أن أكثر الموانئ كانت بيد العثمانيين. وكانوا يواجهون ولاة في بعض الأماكن ممن يوالون تيمور ويرون أنفسهم نواباً لحكمه، وإمبراطور طرابزون كان آخر من أشار إليهم كلافيخو من بين هؤلاء. وكان أباطرة طرابزون قد كونوا سلالة حكمت فيها منذ القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) ومنذ هروب "كومننوس" [١٠٠] من مركزه القسطنطينية نتيجة هجوم جيوش الكنيسة اللاتينية واحتلالها. فهنا نزلت هذه البعثة من السفن. ومن طرابزون بدأت رحلتهم الطويلة البالغة ثلاثة آلاف ميل وصولاً إلى سمرقند ولقائهم بتيمور. [١٠١]

وسارت البعثة باتجاه الجنوب صوب "أرزنجان" في ساحل الفرات الغربي عابرين خلال هذه الحركة من سلاسل جبلية متعددة وكثيرة. وكانوا يصطدمون في بعض الأحيان بلصوص كانوا يأخذون الأموال من المارة على جوانب الطرق الوعرة وقمم الجبال. هؤلاء اللصوص كانوا يتمتعون باستقلالية ولا يرون أنفسهم تابعين لأحد، وكانوا في صراع مع

بعضهم أو متحدين ضد المارة والمسافرين ويقتاتون من خلال ما يحصلون عليه من غاراتهم التي كانت تمتاز بالقوة والخديعة.

وعندما اجتازوا ارزنجان أصبح الطريق أفضل كونهم دخلوا حدود مملكة تيمور، فجيش تيمور المطيع لأوامر ونواهي سفير تيمور العائد رفقة البعثة الإسبانية من بلاطها كانوا يحسنون ضيافة هذه البعثة ويقدمون جميع أنواع المساعدات لهم.

ومن سافر مؤخراً في إيران سيندهش من قلة التغيير في مسارات الطرق لهذه المناطق منذ القرون الخمسة الماضية. فإذا استبدلنا أسماء الأشخاص فقط يمكننا أن نتخيل رحلة كلافيخو على أنها كتاباً كتب في الزمن المعاصر ـ وحسبما قال جازد ـ فإن أسماء المدن والمنازل في هذا الطريق الطويل هي في الغالب نفسها التي كانت في السابق ويمكن الآن لأي مسافر مع الخيل أو البغال أن ينزلها كل ليلة.

وفي بلدة خوي التي تقع شمال بحيرة أرومية وأول مدينة في إيران وصلها الإسبان (القشتاليون)، التقوا بسفير مصر الذي كان في طريقه نحو مركز بلاط تيمور لإلقاء التحية وبعض الأعراف الدبلوماسية. وكانت معه الكثير من الهدايا منها نعامة وزرافة التي لم يرها كلافيخو من قبل، كونه اهتم بوصفه مفصلاً. وقد التحقت البعثة الدبلوماسية المصرية مع الإسبان (القشتاليون) من خوي إلى سمرقند رفقة تلك النعامة والزرافة. ثم إننا نعلم أن هذين الدابتين قد وصلتا سليمتين إلى المقصد، ولابدّ من أنهما عاشتا في سمرقند في غاية السعادة والرخاء.

وكانت مدينة تبريز الكبرى الواقعة جنوب شرق بلدة خوي مركزاً للتجارة في إيران في ذلك الوقت. وكانت هذه المدينة تقع على طريق القوافل شرقاً وغرباً، فكانت القوافل القادمة من سواحل البحر الأسود وآسيا الصغرى (الأناضول) تلتقي فيها مع القوافل القادمة من أقصى آسيا الوسطى. وكانت تبريز مركزاً للحكم في أوائل حقبة حكم المغول، إلا أن تيمور كان قد نقلها مؤخراً إلى مدينة "سلطانية" وجعل فيها والياً أو نائباً عنه.

ومن تبريز فصاعداً يمر الطريق بأراضي أقاليم إيران الشمالية الأقل وعورة وصولاً بالسلطانية. وهنا أدت البعثة الإسبانية واجب الاحترام لميرانشاه الابن الأكبر من أولاد تيمور

الأحياء. وكان ميرانشاه حتى ذلك الحين حاكماً لكل أجزاء شمال إيران والآن جرى تنصيب شخص آخر مكانه، وقد ذكر كلافيخو في رحلته سبب هذه التغييرات في المناصب في بلاط تيمور.

وصلت البعثة بعد عبورهم للسهول الخصبة إلى طهران (الري). وهنا استضافهم أمير البلاد، وقد ذاق أفراد هذه البعثة لحم الخيول الذي كان من الأطعمة الممتازة التي تطبخ في كثير من الضيافات الفاخرة لأول مرة. وبناء على أوامر تيمور الخاصة اتخذت البعثة طريق جبال البرز للقاء أحد كبار حكام التتار وهو صهر تيمور. كما أنهم وصلوا إلى معسكر في وادي "لار" في الهضاب الجنوبية لجبل دماوند. ومن هنا وبعد اجتيازهم لكثير من المعابر الجبلية وصلوا إلى حصن فيروزكوه ومن هناك هبطوا من جديد وصولاً بأرض دامغان كثيرة السهول وطريق القوافل من طهران (الري) إلى مشهد.

وهنا يجب أن نلفت الإنتباه إلى أنه سمح لهم بزيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام والتجول في باحاته، وأن التعصب الحالي للشيعة في منع زيارة المسيحيين للمساجد والأماكن المقدسة في إيران لم يكن له أثر في ذلك الوقت، كون هذا المنع الشديد أصبح سائداً بعد قرن من الزمن في عصر السلاطين الصفويين وإعلان التشيع المذهب الرسمي في إيران.

ويبدو أن أكثر ما نال إعجاب الإسبان (القشتاليين) في رحلتهم الطويلة هذه في مملكة تيمور من تبريز إلى سمرقند وأشار إليه كلافيخو مراراً هو التنظيم في استبدال الخيول عند عمال البريد وعلى نفقة الحكومة. فهذه المنظومة التي تدعى (بالمغولية) "يام" أو (بالفارسية) "تشابار" هي تركيبة من موظفين خيالة وأماكن نزل لهم مع اصطبلات مليئة بالخيول وجميعها جاهزة للخدمة. وكان هؤلاء الموظفين الحكوميين والرسل يجرون على ظهور الخيول ليلاً ونهاراً لتنفيذ المهام الموكلة إليهم. وكانوا يوقفون الخيول المتعلقة ببعض الأشخاص أو الرسل الخيالة ويصادرونها إذا لزم الأمر. وقيل إن أحد الأمراء ورجال الحكومة وحتى ابن تيمور نفسه كان مجبراً على تسليم فرسه إذا طلب الرسول منه ذلك. وكان الإسبان (القشتاليون) يحصلون على ما يحتاجون إليه من المراكب والخيول من الإصطبلات في الطريق باعتبارهم رسلاً في طريقهم لمركز بلاط تيمور. وكان بالإمكان إيجاد ما يقارب من ثلاث مائة خيل في هذه الإصطبلات وكانت تجهز أحدها للمسير بعد دقيقة

واحدة فقط. ويوجد الآن أيضاً مثل هذا النظام في إيران لكن بشكل أقل وفي الطرق النائية والبعيدة لهذا البلد فقط.

ومن جهة أخرى فإننا وكما أسلفنا فإن السفراء الإسبان (القشتاليين) كانوا ضيوف تيمور منذ أن دخلوا حدود بلاده وكانوا يستلمون وجباتهم الغذائية من لحوم وخبز ومشروب بالمجان. وكان كلافيخو قد استغل الفرصة ليبيّن أن المغول كيف كانوا يتعاملون بقسوة وظلم مع الفلاحين والقرويين الفرس. فالأدلّاء والمسؤولين المبتعثين من قبل البلاط للقاء السفراء وإرشادهم كانوا يحصلون على مبتغاهم في كل مكان بوابل من السياط والضرب والشتم.

وكلما كانوا يتقدمون كانوا يمنحون ثياباً مزركشة وبعض الخيل في بعض الأحيان وخاصة في المدن. وكما ذكر كلافيخو فإنهم قد استفادوا من هذه الهدايا لاحقاً حين توديع أدلّائهم، فقد كان متداولاً آنذاك ضرورة منح بعض الهدايا لهؤلاء الأدلاء للذكرى.

وعندما وصلوا إلى مشهد إنذر الوفد الدبلوماسي لتحضير أنفسهم للمرحلة التالية من السفر لاجتياز صحار جافة ليس فيها ماء ولا كلأ في طريقهم قبل الوصول إلى جيحون. فبعد اجتياز وادي مشهد اتجهوا من خلال المعابر الجبلية إلى المشرق ووصلوا إلى مسار صخري كان يمتد من هناك إلى سرخس. فبلدة سرخس (أو موضع قريب منه) كانت ميناء تخرج الناس من خلاله على زوارق صغيرة وتسير في نهر "تجند". [١٠٢] فمسار هذا النهر كان إلى الشرق موازياً لنهر "مرغاب". وكان نهر مرو مجاوراً لنهر مرغاب وتبعد سرخس عن مرو في حدود ١١٠ أميال وهذه المسافة يجب اجتيازها من خلال صحراء قراقوم ذات الرمال السوداء. ففي هذا الطريق الطويل كانوا قد عانوا من العطش وقلة الماء. ومن مرو إلى الغرب يتمتع الطريق بآبار كثيرة.

وعند وصولهم إلى نهر جيحون عبروا هذا النهر الكبير المجاور لشمال بلخ القديمة. وهكذا دخلوا ماوراء النهر موطن تيمور. وعند وصولهم لهذا البلد أدرك كلافيخو تغيير لغة الناس. فاللغة الفارسية التي كان لايزال يسمعها أعطت مكانها للغة أسماها كلافيخو اللغة المغولية فهي في الحقيقة اللغة التركية الشرقية أو لهجة من اللهجات التركية التي تطلق عليها اليوم التركة الجغتائية ويتكلم بها في جميع أنحاء آسيا الوسطى.

وحين ارتحالهم شمالاً تركوا بلدة "ترمذ" على الساحل الأيمن لنهر الجيحون ووصلوا إلى بلدة "كشّ" مسقط رأس تيمور ومدفن أبيه "ترغاي".

هنا نجد أن كلافيخو قد أطنب وبالغ في وصفه لمحاسن وجمال المسجد والقصر اللذان شيدا من جديد وتزيّنا بالقاشاني الأزرق الذي كان قد ألفه في إسبانيا وفي المباني التي شيدها العرب كما وأننا لا زلنا نرى مثل هذا القاشاني على جدران حصن "الحمراء". (١٠٣) هذا القاشاني ذا الخلفية الزرقاء الذي يحتوي على اللون الذهبي والكثير من الألوان الأخرى قد زيّن جدران قصر بلدة كشّ. وحسبما ذكر كلافيخو فإن هذه التحفة والأثر الفنّي لفنّاني التتار يضاهي حقاً أجود الأعمال الفنّية لفنّاني باريس. إلا أن هذه العبارة هي أول إطراء وإعجاب له بفنّ الفانين الفرنسيين.

وبعد توقف قصير خرج سفراء مصر واسبانيا أخيراً من كش ووصلوا إلى سمرقند وبعد قضاء المدة اللازمة أدخلوا على تيمور. وكان تيمور يبلغ من العمر في ذلك الحين سبعون عاماً وله ثمانية زوجات وكان بصره قد ضعف كثيراً حتى تقدم السفراء كثيراً له عندما أدخلوا عليه ليميز بينهم. وقد استضيفت البعثتين أفضل ضياف في سمرقند لمدة ثلاثة أشهر ، وأقيمت الكثير من المآدب والحفلات بسبب زواج الكثير من الأمراء والأميرات من أحفاد تيمور في ذلك الوقت.

ومن بعده شاهد الوفد الإسباني (القشتالي) مشاهد المدينة الرائعة وقد استحسنوا مشاهدة القصور الكثيرة والحدائق الفاخرة. إلا أن الشيء الذي أعجب كلافيخو أكثر كان منظر مخيم قبيلة التتار خارج أسوار المدينة، وقد قدّر كلافيخو عدد الخيم المقامة هناك بحدود ٥٠ ألف خيمة جرى ترتيبها بشكل خطوط مستقيمة وبين كل خط شوارع كان يباع فيها جميع أنواع البضائع.

هذه الخيم كانت نوعين: الأولى خيم أقيمت بواسطة عمود مركزي ودقت أطرافها بواسطة حبال بالأرض والثانية خيم لم تدق أطرافها بواسطة حبال بل وضعت حولها أعمدة خشبية رقيقة تلتف حوله ستارة سميكة لتقف الخيمة ثابتة، فهي عين أكواخ القرقيز اليوم. والشيء الذي يعد من مفاخر هذا المخيم العظيم هو خيمة تيمور الكبيرة التي تكونت من عدة خيم وكانت تقع في أحد أطراف المخيم وتشغل مساحة واسعة بين ستائرها. فجميع

هذه الأمور قد شرحها كلافيخو بتفاصيل دقيقة وبشكل كامل.

ويجب أن ننوه هنا أن ماركو بولو كان قد وصف مخيم قوبيلاي قاآن بنفس هذا الوصف قبل قرن من وصف كلافيخو. كما أن هناك ستائر أخرى من الكرباس كانت موجودة لحفظ داخلها عن أنظار الأجانب كون الداخل كان يحتوي على خيم كثيرة وأغطية ضخمة لتكون كل زوجة من زوجات تيمور مستقلة في مستلزمات المعيشة كافة. وكان كلافيخو قد أعجب من عظمة هذه الخيم الملكية وبهرجتها. وكانت أغلب أجزاء الخيم الملكية قد غطيت بواسطة الحرير الأحمر، والبعض الآخر غطيت من الداخل بالجلود الثمينة لتكون واقياً من حرّ الصيف وداخل أحد هذه الخيم قد غطي بجلد حيوان القاقم.[١٠٤]

وشاهد هؤلاء السفراء مساجد سمرقند وقصر يدعى قصر الصليب الذي كان فيه منام تيمور. ومع ما كان عليه تيمور من عدم الاستطاعة آنذاك في الجلوس على سروج الخيول، إلا أنه كان يتنقل بواسطة سرير محمول على الأبنية الحديثة. وكان يتصدر الاحتفالات ويأكل الكثير من كباب الخيول وكان يشرب طوال الوقت وفي بعض الأحيان كانت مجالس الشرب تستمر حتى فجر اليوم التالي.

وقد أشار كلافيخو مراراً إلى ظلم أتباع تيمور للناس، ولم يذكر القضاء وطريقة تطبيقه، غير ما قاله من أن التتار كانوا يرون الشنق أشرف من قطع الرأس كما أنه ذكر أن هذا الأمر يختلف في مزاج الإسبان وعقيدتهم.

وكان تيمور قد جلب أربعة عشر فيلاً من الهند عام ١٣٩٩ م (٨٠١ هـ) وكانت الفيلة هذه تتفنن في الاحتفالات وتصدر بعض الحركات المثيرة. وبما أن إسبانيا لم تشهد الفيل مطلقاً في ذلك العصر، فلا جرم نجد أن كلافيخو أعطانا وصفاً مسهباً ودقيقاً لها. وبالمجمل فقد جرى استضافة هذه البعثة في غاية الاحترام. كما أن كلافيخو بيّن لنا طريقة حكم تيمور في زمن الحرب والسلم بشكل ذكي وانتقادي وبمهارة خاصة. ومرض تيمور في نهاية الخريف من عام وصول البعثات الدبلوماسية نتيجة هذه الحفلات الكثيرة والإفراط في الأكل والشرب وظن المقربون منه أن أجله قد اقترب. وكانت هذه المقولة بمثابة تحذير في غير محله، لأن تيمور برئ من جديد من مرضه. وطلب من السفراء الإسبان (القشتاليون) والمصريين المغادرة سريعاً وعدم الانتظار للحضور عند تيمور وتوديعه وطلب إذن الانصراف ليكونوا

بمنئى عن الأخطار المحيطة بالاضطرابات نتيجة الحروب التي ستنشب بين أقارب تيمور نتيجة صراعهم على السلطة. لأن تيمور كما ذكر خواصه لم يكن يستطيع أو يريد استضافتهم وتوديعهم. وبالطبع فإن هذا الأمر يعد إهانة لهؤلاء السفراء وأن كلافيخو كان قد اعترض على هذا الأمر، وأن الأمر الذي أثار استيائه أكثر كان عدم الرد على كتاب ملك بلاطه ملك إسبانيا (قشتالة) الذي كان قد أرسله لتيمور. ولم تنفع أي من هذه الاعتراضات وفي النهاية استسلموا مقابل تلك الضغوطات وخرجوا من سمرقند رفقة سفير مصر وآخرين قدموا من الأناضول في الآخر من تشرين الثاني سنة ١٤٠٤ م (٨٠٦ هـ).

وفي أول مرحلة من مراحل طريق العودة سلكوا مساراً آخراً. فقد ذهبوا إلى بخارى عن طريق وادي نهر "زرافشان" الخصب وبعد العبور من هذه المدينة وصلوا إلى نهر جيحون، فعرض الصحراء الصخرية المميتة التي اجتازوها في هذه المرحلة كانت أقل من تلك التي واجهتهم عندما كانوا في طريقهم إلى سمرقند قبل ثلاثة أشهر. وعند بلدة "باورد" التي تعرف الآن بأبي ورد كانوا قد وصلوا إلى حدود خراسان وأراض خصبة وغزيرة الناتج. وكان توقيت وصولهم وافق ذكرى ميلاد السيد المسيح للعام ١٤٠٤ م (٨٠٦ هـ) وكان اليوم الذي يليه بحسب الحسابات الفلكية في ذلك الوقت يوافق بداية العام. [١٠٥] ثم سلكوا طريق القوافل ووصلوا إلى بلدة "جاجرم" ومن هناك عادوا إلى تبريز من نفس طريق ذهابهم إلى سمرقند مع بعض التغييرات الطفيفة في المسار. فوصلوا إلى تبريز في الآخر من فبراير من العالم ١٤٠٥ م (٨٠٧ هـ) وتوقفوا فيها ستة أشهر. وكما ذكرنا فإن تيمور عند خروج السفراء من سمرقند كان قد مرض ويخشى عليه من الموت. إلا أنه برئ واستراح مدة شهر ومن ثم أصرّ على تطبيق خارطته الحربية الجديدة ألا وهي فتح الصين في بداية كانون الثاني من العام ١٤٠٦ م (٨٠٨ هـ) إلا أن حالته الصحية سرعان ما تأزمت ومات في بلدة أترار في منتصف شباط بعد أن اجتاز نهر السيحون. ولو وصل خبر هذه الحادثة إلى تبريز بواسطة عمال البريد ـ الذين ذكرناهم آنفاً ـ لم يكن لينتهي شباط إلا وجميع أجزاء شمال غرب إيران كانت ستشهد تمرداً وعصياناً.

كان "عمر ميرزا" حفيد تيمور حاكماً فعلياً على جميع أرجاء إيران وكان مركزه في مدينة تبريز. إلا أنه كان قد خرج في ذلك الحين للاصطياف في ناحية تشمن قراباغ التي كانت

تبعد عن تبريز ما يقارب مائة ميل من جهة الشمال. وكان وفد سفراء قشتالة قد دعي إلى قراباغ لألقاء التحية عليه. إلا أن نبأ وفاة تيمور كان قد تسبب في فوضى عارمة في جميع أرجاء غرب إيران بسبب كثرة مدعي الحكم.

ويقدم لنا كلافيخو وصفاً مفصلاً عن الحروب الأهلية التي كانت بين أبناء وأحفاد وابن أخت تيمور "جهانشاه" أو القائد العام لجيوش إمبراطورية تيمور، وستأتي تفاصيل صراعات بعضهم لاحقاً.

والآن فلنعد لمسار السفراء ورحلتهم، فإنهم لم يتمكنوا من مغادرة مدينة تبريز حتى يوم ٢٧ من آب. فقد استطاعوا في هذا التاريخ مغادرة تبريز بعد أن نهبت أموالهم على يد موظفي الدولة وعانوا الكثير جراء هذا الأمر. وفي تاريخ ١٧ من أيلول وصلوا إلى مدينة طرابزون، ومن ثم ركبوا سفينة قاصدين القسطنطينية وبعد ٢٥ يوماً من السفر في البحر دخلوا هذه المدينة. ثم ركبوا من هناك على سفينة من سفن أهل جنوة ووصلوا مينائهم. وكانوا قد وصلوا جنوة في كانون الثاني من سنة ١٤٠٦م (رجب ٨٠٨هـ). وبعد توقف في هذه المدينة دام لأربعة أشهر، التقوا خلاله برجل إسباني كان يدعي البابوية في روما [١٠٦] وكان يقيم في "سافانا" [١٠٧]. وفي النهاية خرجوا من جنوة في الأول من فبراير ووصلوا إلى "شلوقة" أو "سان لوكار" الواقعة على مصب نهر الوادي الكبير ومن هناك ذهبوا إلى إشبيلية. وكانت هذه البعثة قد توقفت كثيراً في القسطنطينية وفي سمرقند أيضاً، كما أنهم اضطروا إلى المكوث في تبريز. وإذا ما أحصينا هذه التوقفات والمكوث التي بلغت خمسون أسبوعاً، فإن البعثة الدبلوماسية الإسبانية أمضت مائة أسبوع في رحلتها من إسبانيا إلى سمرقند وبالعكس عبر البرّ والبحر.

إن وصف كلافيخو لتيمور وأسرته ووضعية بلاطه في سمرقند يعد هاماً، باعتبار أن مثل هذا الوصف ومثل هذه التفاصيل لرحالة متأخرين لم ير مثلها ولم يصلنا أساساً. فقد كان تيمور حين رحلة كلافيخو قد بلغ السبعين من عمره وأصبح مريضاً وبالياً إثر حروبه المستمرة. كان تيمور يفتخر بنفسه دائماً كمسلم صحيح العقيدة وصادق في إيمانه، ومع هذا كان الخمر الذي يعد من محرمات الإسلام يستخدم كثيراً في مختلف الحفلات. كما أن كلافيخو ذكر أن ضيوف تيمور كانت أحوالهم تسوء كثيراً بسبب فرطهم في تناول الخمور.

وأن كبيرة نساء القصر أو سيدة نساء تيمور كانت تتعجب من أن كلافيخو لم يكن ليشرب الخمر أبداً. في حين أن زميل كلافيخو ألفونسو بائيز [١٠٨] الذي كان مختصاً بالعلوم الدينية كان يفقد صوابه حينما كان يرى الخمر. وفي أحد الحفلات قدم تيمور بنفسه كأساً من الخمر وكان يجب أن يشرب دفعة واحدة بحسب العرف السائد. كما أن نساء البلاط كن يحضرن هذا الحفل وحفلات مثله دائماً. فقد ذكر كلافيخو أنه كان قد رأى نساء تيمور الثمانية. وكان اثنان من أولاد تيمور على قيد الحياة في ذلك الوقت، الأول شاهرخ والآخر ميرانشاه اللذان كان تيمور قد نفاهما إلى غربي إيران. وعند مكوث الوفد الإسباني في سمرقند كان عدد من أحفاد تيمور قد وصلوا إليها ثم رحلوا عنها. وكانت زوجة ميرانشاه التي كانت تقيم في بلاط أبي زوجها قد أقامت مأدبة طعام ملكية على شرف السفراء. وكانوا يضيفون الضيوف من لحوم الخيول التي كانت تطبخ بالكامل. كما كان أطراف المجلس قد رصف بثلاثة آلاف من قناني وجرار الخمور الكبيرة وأوعية مليئة بالقشدة والسكر. هذه الحفلات كانت تستمر من الصباح حتى المساء وفي بعض الأحيان حتى صباح اليوم التالي وكانت النساء في هذه الحفلات تأكل وتشرب كما الرجال أيضاً. وكان السفراء غالباً ما يلتقون مع تيمور. ففي المرة الأولى من لقائهم معه ركعوا ثلاثاً ثم جثوا أمامه كما كان معتاداً ولم يأخذوا أماكنهم حتى أمر بذلك.

مات تيمور كما ذكرنا سابقاً بعد شهرين من خروج السفراء من سمرقند، وتركت وصيته فوراً ولم تنفذ. وكان ولده الأكبر "جهانكير" قد مات قبل ثلاثين عاماً من كلامنا هذا وقد خلفه ولد يدعى "بير محمد". وكان تيمور قد اختار بير محمد خلفاً لنفسه. إلا أن أعمام بير محمد وأولادهم قد اتفقوا على سلب هذا الحق منه.

ومن أجل فهم الحوادث القادمة يجب الرجوع إلى مشجرة نسب تيمور[١٠٩] (في الملحق) ليكون نسب من ذكره كلافيخو في رحلته واضحاً وجلياً للقراء.

فكما ذكرنا كان تيمور حين وفاته قد خلف أولاداً وأحفاداً كثراً. وكان شاهرخ والي مدينة هرات هو الذي جلس في النهاية مكان والده. وكان ميرانشاه قد خلف ثلاثة أولاد: إثنين منهم عمر ميرزا وابوبكر ميرزا من أحد زوجاته، وخليل سلطان من زوجته الأخرى أي أرملة أخيه الأكبر جهانكير الذي كان قد توفي قبل ثلاثين عاماً. لم يكن خليل سلطان

أو أخو عمر ميرزا وأبوبكر ميرزا على علاقة جيدة مع إخوته، إلا أن أمه كانت لا تزال منذ زمن بعيد زوجة تيمور المفضلة وتقيم في سمرقند. وكان عمر ميرزا آنذاك حاكماً على جميع أرجاء غرب إيران كما كان أبوبكر ميرزا حاكماً على حدود بلاط أبيه وكانت بغداد مركز حكمه ويحكم عراق العرب، لأن ميرانشاه لم يستطع أن يمارس الحكم بسبب عجزه واختلال حواسه. كما أن هناك ابن أخت لتيمور ذكره كلافيخو في رحلته هذه كثيراً يدعى جهانشاه، وأيضاً كان لتيمور ابنة كان قد تزوجها رجل من كبار الشخصيات وكان يقيم في الري وقد استضاف السفراء الإسبان (القشتاليون) في الري، وكان يدعى سليمان ميرزا.[١١٠]

وكان هؤلاء الأمراء جميعهم قد اشتركوا في الصراع على خلافة تيمور وكان كلافيخو يعرف جميعم. وكما سنرى فإن ولدي تيمور أي شاهرخ ميرزا وميرانشاه كانا أخوين غير شقيقين. وكان جهانشاه ابن عم كليهما وسليمان ميرزا زوج أختهما، وما ذكر كلافيخو من أسماء الأمراء الآخرين فكلهم من نسل التالي.

وقد ذكر كلافيخو بداية الصراع من أجل الإستيلاء على العرش وخلافة تيمور بشكل دقيق. وكما كان متوقعاً فإن أول الأقاليم التي تبنت الإنفصال والإستقلال كانت الأقاليم البعيدة عن مركز السلطة. واستطاع الأتراك العثمانيين من استعادة استقلالهم، كما استولى السلطان المملوكي على بلاد الشام، إلا أن إيران وما وراء النهر بقيتا وفيتين لخلفاء تيمور. كما أن شاهرخ استطاع الجلوس على العرش في سمرقند بعد معركة دامية وسفك لكثير من الدماء وحكم بحنكة وجدارة على حدود بلاط أبيه حتى وفاته (١٤٤٧م/٨٥٠هـ) وأن أولاد إخوته لم يصلوا إلى حلمهم في الحكم.

والآن لنعد إلى كلافيخو ومغامراته. فقد وصل سفراء إسبانيا (قشتاله) في ربيع العام ١٤٠٦ م (٨٠٨ هـ) إلى إسبانيا، وخرجوا من إشبيلية نحو الشمال صوب حصن "حنارس" [١١١] وحضروا هناك عند هانري الثالث. ولم يذكر أي مصدر تقرير كلافيخو لسيده عن الشرق الأدنى ولبنان. ولا يمكن تصور تقرير سيء لكلافيخو عن وضع مدينة القسطنطينية. وأن السلطان العثماني الجديد (محمد بن السلطان بايزيد) لم يكن بعد قلق البال من الأمراء

التتار في سمرقند، وأن إمبراطور القسطنطينية أصبح قلقاً إزاء الأتراك وغزوهم المحتمل الذي كان يراه قريباً. ومع هذا فإن هذه الغزوة حدثت بعد نصف قرن من الزمن.

لا نعلم شيئاً عن سيرة "فراي ألفونسو بائيز دي سانتاماريا" (١١٢) الذي كان مختصاً في علم اللاهوت والتالي في الرتبة في الوفد السفارة بعد كلافيخو. إلا أنه يوجد تفاصيل قليلة باللاتينية عن سيرة كلافيخو بقلم "نيقولا أنطونيو" (١١٣) (١٦١٧-١٦٨٤ م/ ١٠٢٦-١٠٩٥ هـ) وأخرى بالإسبانية بقلم "خوزيه ألفاريز بائينا". لم يرد تاريخ ولادته في أي مصدر وصلنا على الإطلاق. إلا أنه ذكر أنه كان نديماً خاصاً لهانري الثالث منذ شبابه. وقد ورد اسمه في وصية هذا الملك التي وقعت في طليطلة في كانون الأول من العام ١٤٠٦ م أي نفس العام الذي عاد فيه إلى موطنه. وكان كلافيخو قد اعتزل العمل في البلاط وبدأ ببناء ضريح فخم ورائع لنفسه من المرمر الأسود. وكان قد بنا هذا القبر في باحة دير "سان فرانسيسكو" في مدريد وفي عام ١٤١٤ م وري هناك الثرى. إلا أن بائينا ذكر في تتمة ترجمته لكلافيخو التي ذكرناها سابقاً أن هذا الضريح قد تعرض للتخريب في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ليدفن في الدير نفسه جثمان "خوانا البرتغالية" (جين دو بورتوغوئز) (١١٤) أرملة هانري الرابع ملك قشتالة وليون. هذه الأميرة هي أم "لا بيلترانيخا" (١١٥) الشهيرة الذي إدعى السلطة حين وفاة هانري الرابع الملقب بـ "العليل". وكان قد أشيع على ألسن الناس أن هانري الرابع ليس والده وفي النهاية حرمته "إيزابيلا" ملكة قشتالة من السلطة. وقد استخدم مرمر مقبرة كلافيخو في بناء مبنى جديد، وقد تهدم هذا الدير تماماً بعد عام ١٧٦٠ م ولم يبقى منه الآن أي أثر. وذكر بائينا أيضاً أن كلافيخو كان يسكن في مدريد في نفس المكان الذي كانت فيه كنيسة "كابيلا ديل ابيسبو" (١١٦) التي تقع ضمن حدود إدارة كنيسة "سان أندره" الدينية في القرن الثامن عشر. وذكر بائينا أيضاً أن دار كلافيخو كان على قدر من الجلال والجمال بحيث أصبح مقراً لولي العهد "الدون إنريك دو آراغون" زوج أخت الملكة ماري بنت هانري الثالث. وبالتالي فإن مقرّ كلافيخو حين حياته وحتى لسنوات بعد مماته كان من الأماكن الراقية.

صنّف كلافيخو رحلته بعد عام ١٤٠٦ م (٨٠٨ هـ) بقليل. وكانت تفصل ذلك الحين حتى اختراع الطباعة في حدود خمسين عاماً. ومع هذا فإن عدداً من النسّاخ قد نسخوا منه

عدة نسخ لما كان يتمتع به كتابه من جاذبية، وأصبح مطلوباً بشكل كبير في أوساط عامة الناس. وتوجد نسخة منه في مكتبة مدريد الوطنية. إلا أن الناسخ لم يكملها للأسف، وعليه فإنها تفتقد لصفحة عنوان الكتاب والمؤلف التي توجد في بداية الكتب، وأيضاً أنها تختتم فجأة بعودة السفراء إلى أرض الوطن ووصولهم لبلدة "مسين". وقد نسخت وفق طريقة النسخ المعتادة في القرن الخامس عشر الميلادي وخطها واضح وجلي. وقد احتوت على ١٥٤ ورقة رحلية كتب عليها النص في عمودين وعلى كلا الوجهين وقد استخدمت فيها الكثير من الاختصارات وفق ما كان سائداً آنذاك. وأما عن أول طبعة لهذا الكتاب فيجب القول إن "آرغوت دي مولينا" [١١٧] كان قد استنسخ هذا الكتاب من نسخة غير التي نتكلم عنها حالياً وللأسف أنها مفقودة الآن ونسخة آرغوت هذه محفوظة في مكتبة مدريد الوطنية نفسها. هذه النسخة كانت جزء من مجموعة الراحل "دون باسكو إل ديغايانغوس" [١١٨] التي أهديت بموجب وصيته للشعب الإسباني. [١١٩]

كانت أول طبعة لرحلة كلافيخو في عام ١٥٨٢ م وهي الآن نادرة جداً. وفي عام ١٧٨٢م نشر "أنطونيو دي سانكا" طبعة ثانية منه بحجم "رحلي" في مدريد وهي مثل الطبعة الأولى تماماً. والقسم الأول من هذه الطبعة تحتوي على مذكرات "دون بيدرو بينو" اليومية وهو نفسه الذي قام السير كليمنتس ماركهام بترجمة الرحلة منه. وقد نشر العالم الروسي "سرزينفسكي" [١٢٠] طبعة ثالثة لهذه الرحلة مع ترجمة إلى الروسية وحواشي باللغتين الروسية والفرنسية استنادا إلى الطبعتين السابقتين. ففي هذه الطبعة جرى دراسة وتدقيق الكثير من الموضوعات المتعلقة بأخطاء النسّاخ في نقلهم للأعلام الفارسية والتركية من الأمكنة والأشخاص ونحن قد استفدنا من المعلومات التي وردت في فهارس أعلامها التي جاءت بالفرنسية في تدوين حواشي هذه الترجمة.

الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة في ثنايا العلاقات الأوروبية مع المشرق الإسلامي والتقديم لما قدّمه المستشرق الإنجليزي كي لسترنج على ترجمته لرحلة سفير مملكة قشتالة روي جونزاليز دي كلاويخو يمكننا أن نلخص ونستنتج الآتي:

تعد الرحلات كما عرفنا من أهم مصادر المعرفة التاريخية كما أسلفنا لما تحتوي عليها من مشاهدات مباشرة أو أنها كتبت بعد حين؛ على أن المصادر التاريخية الكلاسيكية الأخرى يروي المؤرخ الجزء الأكبر منها لأزمان غابرة تتقدم المؤلف بكثير يستحيل مقارنتها مع نصوص أخرى للتثبت من صحتها. كما أنه يروي هذه المرويات عن طريق الرواة والكثير منهم مجهولون بحسب تقصي المختصين وأن الجزء اليسير القريب من حياته والمعاصر له يمكن الركون إليه بعد أن نتمحّص ونتأكد من موقفه الحيادي تجاه ما ينقل عنه؛ إلا أن الرحلات تمتاز بأنها مشاهدات مباشرة في الغالب وأن أغلبها ليست منحازة كون الرحالة منشغل بهموم سفره فلا يفكر في أن ينحاز إلى ما يراه إلا في اليسير من نصوصه.

ولعل من أهم أنواع الرحلات هي الرحلة السياسية أو الدبلوماسية كون المبتعث يمثل جهة سياسية عليا وسينال اهتمام الجهة العليا المرسلة إليها وبالتالي سيتمكن من الوصول إلى أماكن صنع القرار السياسي وسيرى عمق ما يجري في البلاط والمجتمع الذي سيزوره، وفيما إذا تمكن من تدوين رحلاته ستكون رحلاته ذات قيمة عالية لما ذكرناه من امتيازات ستتوفر في نصوصه.

ومن أهم الرحلات السياسية أو لنقل الدبلوماسية لأحد الأوروبيين إلى المشرق الإسلامي في مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي هي رحلة السفير القشتالي "روي جونزاليز دي كلافيخو" الذي كان على رأس وفد ثانٍ أرسله ملك قشتالة إنريكي الثالث إجابة لبعثة تيمور لنك برئاسة السفير "حاجي محمد"، فقد خرج من مملكة قشتالة عن طريق البحر إلى موانئ إيطاليا ومن هناك إلى القسطنطينية، ثم عن طريق البحر الأسود إلى ميناء طرابزون ومن هناك سار براً عن طريق شمال إيران وصولاً بسمرقند. وقد استمرت رحلته ذهاباً وإياباً بين الأعوام (١٤٠٣ ـ ١٤٠٦ م). وتمتاز رحلته كما يصفها لسترنج بأنها خالية من الانحياز لأي أحد أو طائفة أو حادثة حدثت في سفره وأنه كتبها لتسجيل هذه المشاهدات الصرفة، ودقته في ذكر جميع التفاصيل ينمّ عن رؤيته العلمية، وأنه أيضاً كان رجلاً متديناً إذ يبتدأ رحلته بذكر الله (عز وجل) والشكر لمريم العذراء (عليها السلام) فضلاً عن أن كلافيخو في الأساس يعد من أعيان مملكة قشتالة وأثريائها قبل أن يصبح رجلاً في بلاط إنريكي الثالث.

وقد نالت رحلة كلافيخو اهتمام الباحثين الأوروبيين والمستشرقين وعلى رأسهم المستشرق الإنجليزي كي لسترنج الذي هذب ترجمة الرحلة من الأصل الإسباني إلى الإنجليزي التي قام بها السيد "كليمنتس ماركهام" وقابلها مع نسخ الكتاب الإسبانية الموجودة في مدريد وقدم لها مقدمة شافية بعد أن اطلع على مقدمة الباحث الروسي "سرزينفسكي" وصحّح بعض الأعلام والتواريخ الواردة فيها. وهذه الرحلة لم تنل التفات الباحثين العرب ولم تترجم إلى العربية إلى الآن على حد علمي، وبالاستعانة بالترجمة الفارسية لنسخة رحلة كلافيخو المصححة من قبل لسترنج استطعت الاطلاع على مجهوده الرائع وكان فكرة هذا البحث.

ولأهمية التمهيد وذكر تاريخ رحلات الأوروبيين نحو الشرق حتى زمن كلافيخو وبعده بقليل ذكرنا مختصراً عن طبيعة هذه الرحلات منذ ما قبل العصر الوسيط وهو الطابع غير العلمي المتكي على التفسير الحرفي للكتاب المقدس، ثم تطورت الرحالات الغربية لتقتصر على الحج إلى الأراضي المقدسة لغرض زيارة الأماكن التي ولد فيها السيد المسيح عليه السلام ونشأ ودعا الناس اليه وقتل بحسب زعم الكتاب المقدس، ثم ومع نشأة الكنيسة الكاثوليكية في روما وتوسع أطماعها أصبحت ترسل رحلات للتبشير بالمسيحية في أرجاء أوروبا والمشرق مستغلة الملوك والجماعات الدينية من الرهبان والتجار وعامة الناس لهذا الغرض، كما أن هناك بعض الرحلات الهامة التي قام بها تجار أوروبا في القرون القريبة من رحلة كلافيخو كانت مستقلة بعيدة عن التوجهات السابقة. "والحمد لله رب العالمين"

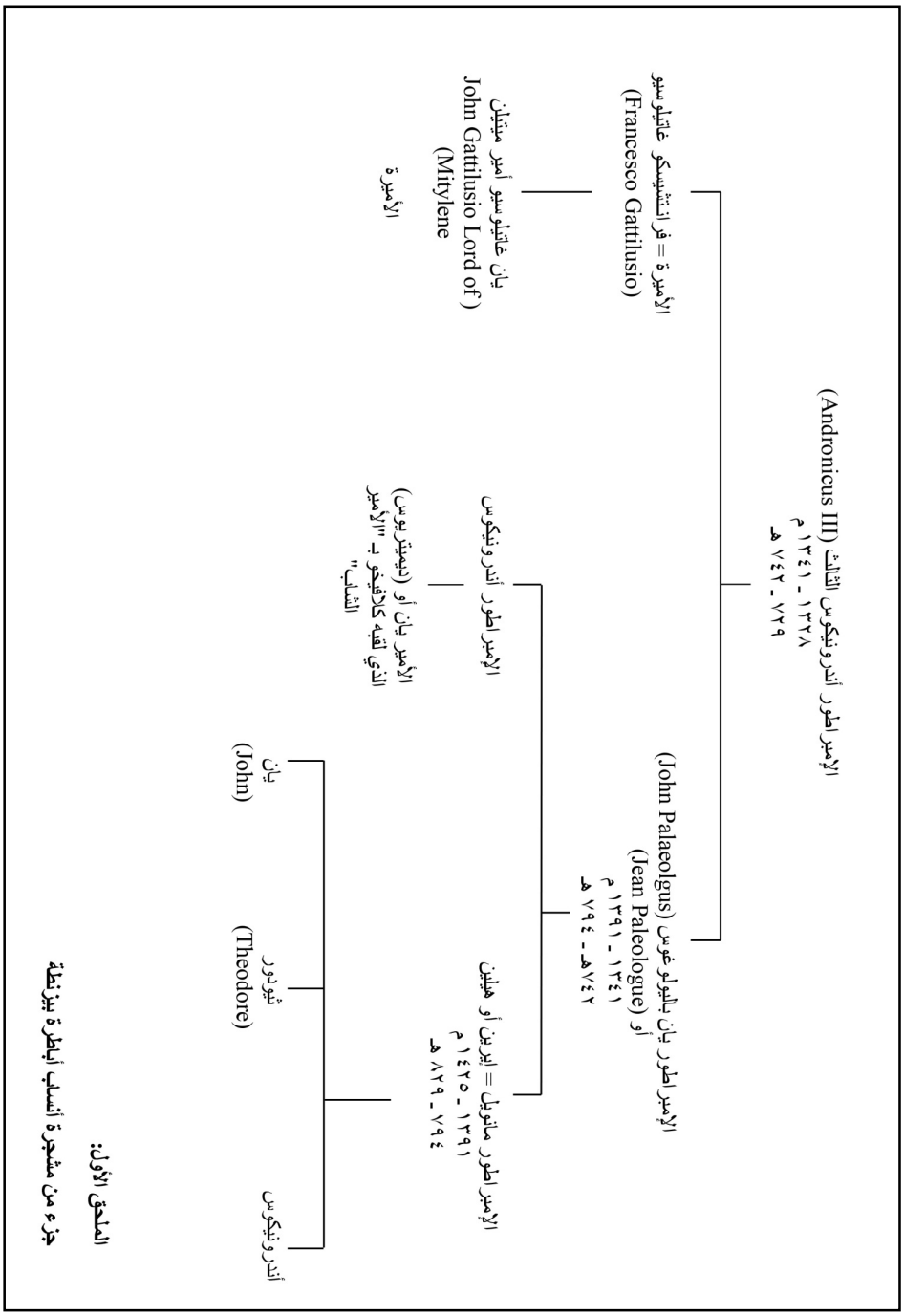

الملحق الأول:

جزء من مشجرة أنساب أباطرة بيزنطة

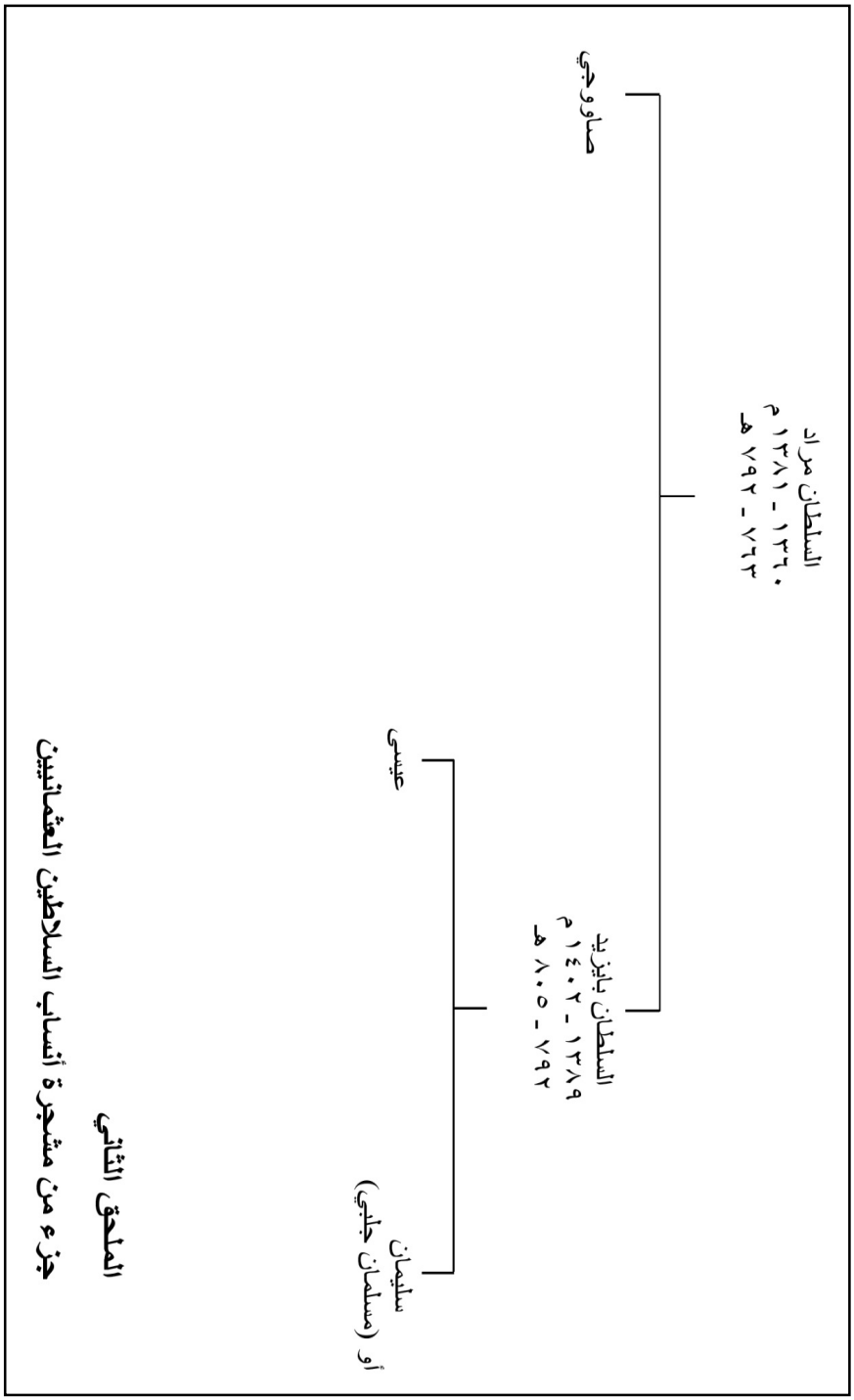

الملحق الثاني

جزء من مشجرة أنساب السلاطين العثمانيين

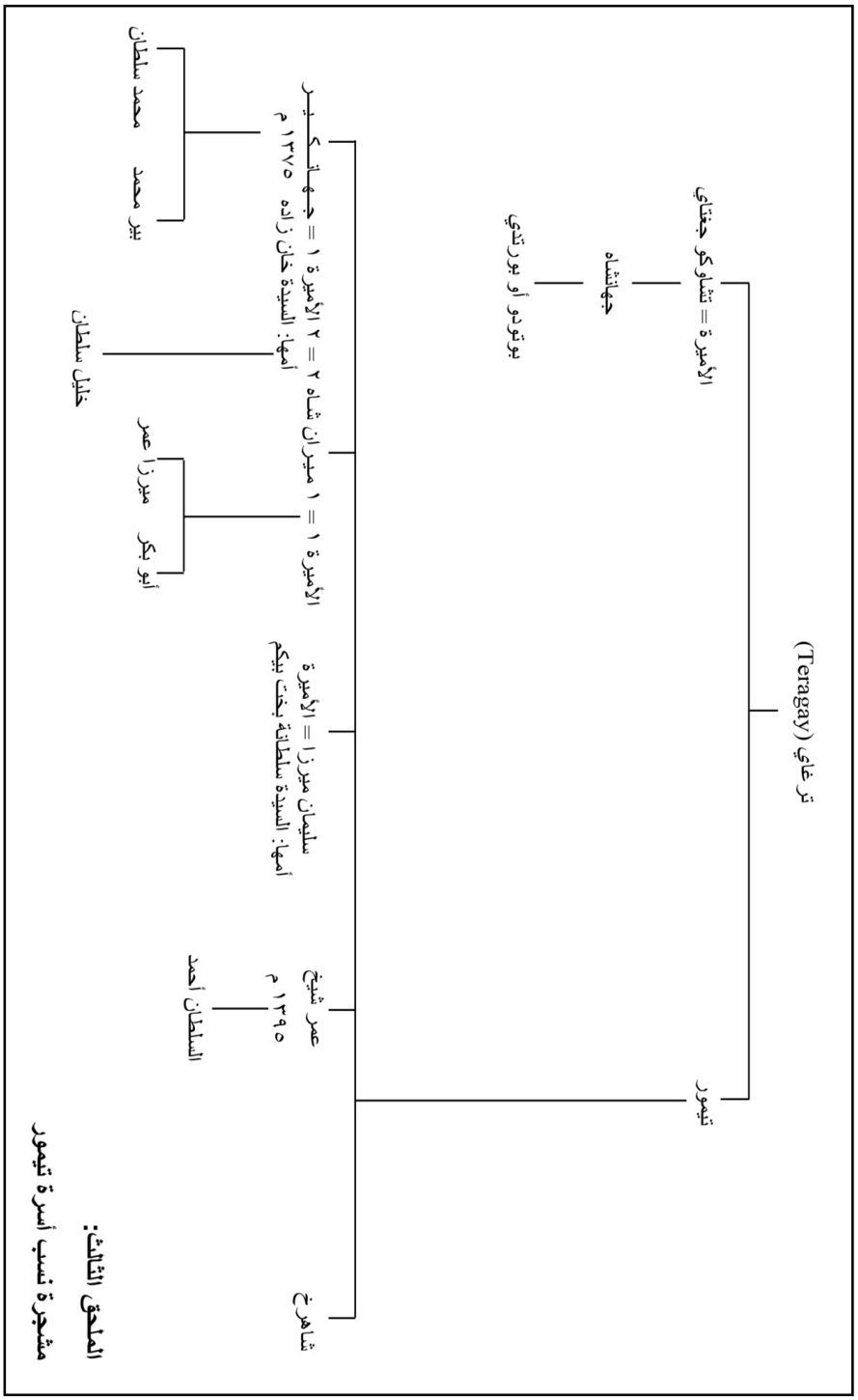

الملحق الثالث:

شجرة نسب أسرة تيمور

هوامش البحث

(١) . هذا المبحث مطوّل يتطلب سياق بحث مستقل وهو خارج عن نطاق بحثنا. ومن أراد المزيد ينظر: الدويهي: الرحلة وكتب الرحلات الأوروبية إلى المشرق حتى نهاية القرن الثامن عشر، ص ٥٨ ـ ٦٩؛ الرويعي: تطور مفهوم الشرق في الفكر الأوروبي من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين، ص ٣٧ـ ٤٣؛ زيادة: الغرب يشرّق، ص ٣٠ ـ ٤٣؛ عوض: الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩ ـ ١١٨٧ ميلادية، ص١٦ ـ ٣٩ (تاريخ رحلات الحج الأوروبية إلى الأراضي المقدسة)؛ محمود: حركة الحج إلى مملكة بيت المقدس الصليبية في القرنين ١٢ و١٣، ص٢٨ ـ ٦٠ (تاريخ رحلات الحج الأوروبية إلى الأراضي المقدسة).

(٢) Roy Gonzalez de Clavijo .

(٣) . Enrique III

(٤) Guy Le Strange.

(٥) Clements Markham .

(٦) . I. Serznevsky

(٧) Dr. Elliss H. Minns .

(٨) J. B. Trend .

(٩) Khanikov .

(١٠) . ينظر: د كلاويخو: سفرنامه كلاويخو، ص ١١ ـ ١٤.

(١١) Hunstanton .

(١٢) Norfolk .

(١٣) . Cambridge

(١٤) Clifton .

(١٥) Cirencester .

(١٦) Julius Mohle .

(١٧) Stanislas Guyard .

(١٨) Edward Browne .

(١٩) . هو المستشرق الإسكوتلندي "إلياس جون ويلكنسون جب" (Elias J. W. Gibb) (ت ١٩٠١ م) وسبب تسمية هذه المجموعة باسمه ذلك أنه لما توفي المستشرق إلياس جب، أرادت والدته تخليد ذكراه، فاقترح المستشرق إدوارد براون وقف مبلغ من المال لنشر الأبحاث والتحقيقات عن تاريخ وآداب العرب والترك والفرس وآدابهم وفلسفتهم ودياناتهم، وهي العلوم التي كان ابنها قد تخصّص فيها ويتعذر على طلاب

الاستشراق إيجاد ناشر يتكلف طبع مصنفاتهم بسبب صعوبة نشر هذه التصانيف لكساد سوقها. ينظر: عقيقي: المستشرقون، ج ٢، ص ٤٦٢ - ٤٦٣.

(٢٠) . ينظر: عقيقي: م. ن.، ج ٢، ص ٥١٠ - ٥١١؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٦ - ٨؛ محمد: العراق وبلدان الخلافة الشرقية في مؤلفات المستشرق البريطاني كي لسترنج، ص ٣٨ - ٤٤.

(٢١) . الرويعي: تطور مفهوم الشرق في الفكر الأوروبي، ص ٤٢؛ زيادة: الغرب يشرّق، ص٣٥ - ٣٦.

(٢٢) . الدويهي: الرحلة وكتب الرحلات الأوروبية إلى المشرق حتى نهاية القرن الثامن عشر، ص٥٩.

(٢٣) Constantine .

(٢٤) St. Jerome .

(٢٥) Saewolf .

(٢٦) Danielle .

(٢٧) Baldwin I .

(٢٨) Euphrosine .

(٢٩) . ينظر: الرويعي: تطور مفهم الشرق في الفكر الأوربي من خلال كتابات الرحالة الأوربيين، ص ٤١ - ٤٢؛ وللمزيد ينظر: عوض: الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية؛ ص ١٤٤- ١٥٥؛ محمود: حركة الحج إلى مملكة بيت المقدس الصليبية في القرنين ١٢ و١٣، ص ٢٨ - ٦٠.

(٣٠) . ينظر: عوض: م. ن.، ص١٥٩ - ١٦٠.

(٣١) Benjamin of Tudela .

(٣٢) Tudela .

(٣٣) . ينظر: عوض: الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، ص ١٦٠.

(٣٤) . ينظر: الرويعي: تطور مفهوم الشرق، ص ٤٢.

(٣٥) Pope Innocent IV. .

(٣٦) . ينظر: هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، ص ٥٩.

(٣٧) . ينظر: الصياد: المغول في التاريخ، ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٣٨) . ينظر: يوسف: العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، ص ٢٥٧.

(٣٩) . الفرنسيسكان: أو الإخوة الصغار (Minor Friars) هيئة دينية أسسها فرانسيس الأسيسي (Francis of Assisi) (١١٨١ - ١٢٢٦) في أحد الأديرة في منطقة "Assisi" بإيطاليا، وحصلت على موافقة البابوية الرسمية عام ١٢٢٣ م، وسرعان ما أصبح لها فروع في جميع أنحاء الغرب الكاثوليكي وكان الهدف منها التبشير بالدين المسيحي على المذهب الكاثوليكي وخدمة المسيحيين الفقراء. وقد حضر فرنسيس نفسه إلى الشرق مع الحملة الصليبية الخامسة بهدف التبشير بين قادة المسلمين ووضع سياسة ـ اقتفى أثرها خلفاؤه

ـ مفادها إن أيسر الطرق لهزيمة الأعداء هي تحويلهم إلى الدين المسيحي. ينظر: هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص ٨٩.

(٤٠) . الدومينيكان: أو الإخوة المبشرين (Friars Preachers) أسسها دومينيك (١١٧٠ ـ ١٢٢١) في مدينة تولوز في بداية القرن الثالث عشر وحصلت على موافقة البابا عام ١٢١٦.فقد أنشأ هذه الهيئة الدينية للتبشير بين الهراطقة والملحدين في جميع أنحاء العالم. مبادئها ـ المشابهة لنظم الفرنسيسكان ـ تقوم على عمل أعضائها في الدفاع عن العقيدة والتبشير بين "الكفرة" واكتساب قوتهم اليومي من التسول والهبات. وكان لها فروع في معظم أنحاء أوروبا وشمال آسيا ووسطها. ينظر: م. ن.، والصفحة.

(٤١) . Lorenzo of Portugal

(٤٢) . ينظر: هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص ٦٠.

(٤٣) . Giovanni Da Pian Del Carpini

(٤٤) . ينظر: زيادة: الغرب يشرّق، ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٤٥) . Sira-Ordu

(٤٦) . ينظر: يوسف: العدوان الصليبي، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

(٤٧) . de Longjumeau Andre

(٤٨) . Baiju

(٤٩) . Ascellines of Lombardia

(٥٠) . ينظر: يوسف: العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٥١) . Louise IX.

(٥٢) . هناك أدلة كثيرة في عدم صحة مثل هذه الأخبار. ينظر: هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص ٧١ ـ ٧٣؛ يوسف: العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٥.

(٥٣) . ينظر: هلال: م. ن.، ص ٧٥-٧٦.

(٥٤) . William de Rubruck

(٥٥) . ينظر: يوسف: العدوان الصليبي على بلاد الشام، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٥٦) . هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص ٧٧ ـ ٧٩؛ يوسف: م. ن.، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٧، ٢٨٣.

(٥٧) . ينظر: بولو: رحلات ماركو بولو، ص ١٢؛ زيادة: الغرب يشرّق، ص ٣٧؛ شمس: العلاقات الأوروبية المغولية وتأثيرها على المشرق الإسلامي، ص ١٧٩ ـ ١٨٢.

(٥٨) . زيادة: م. ن. والصفحة.

(٥٩) . ينظر: وود: ماركو بولو هل وصل إلى الصين، ص ١٦١ ـ ١٩٢.

(٦٠) . Hernan Sanchez de Palazuelos

(٦١) . Payo de Sotomayor

(٦٢) . ينظر: د كلاويخو: سفرنامه كلاويخو، ص ٤١.

(٦٣) . Fri Alfonso Paez di Santa Maria

(٦٤) . Gomez Salazar

(٦٥) . ينظر: د كلاويخو: سفرنامه كلاويخو، ص ٢١.

(٦٦) . ينظر: م. ن.، ص ٣٧.

(٦٧) . Manuel

(٦٨) . Nevers

(٦٩) . Nicopolis

(٧٠) . حواشي لسترنج: سأضع مشجرة أنساب أباطرة بيزنطة والسلاطين العثمانيين ذيلاً ليستفاد منها عند مطالعة هذا الكتاب. ﴿لعدم إمكانية إدراج المشجرات هنا في التعليقات الختامية أفردت لها ثلاث ملاحق في نهاية هذا البحث (الباحث)﴾. ينظر: الملحق الأول: جزء من مشجرة أنساب أباطرة بيزنطة والملحق الثاني: جزء من مشجرة أنساب السلاطين العثمانيين.

(٧١) . Savaji

(٧٢) . Anemas

(٧٣) . م. ف. [أي هامش المترجم الفارسي (المترجم)]: Boucicault المعروف بـ Jean Le Maigre مارشال فرنسا، ولد في مدينة "تور" وأسر في حربي "نيكوبوليس" و"أرنيكو" ومات في الأسر (١٣٦٦-١٤٢١ م).

(٧٤) . م. ف.: Lancaster ينظر: لحواشي المستشرق غي لسترنج في نهاية الكتاب.

(٧٥) . حواشي لسترنج: هناك مصنف في التاريخ عن تيمور عنوانه "ظفرنامه" كتب فيما يقارب عشرين عاماً بعد وفاته بالفارسية بواسطة شرف الدين علي اليزدي وهو أفضل توصيف لما قام به هذا الفاتح ولحروبه. وقام بتي ديلا كروا (Petit de la Croix) بترجمة هذا التاريخ إلى الفرنسية وأسماه "تاريخ تيمور بيك" (Histoire de la Timur Bec) وطبع في ديلفت (Delft) عام ١٧٢٣. وقد استفاد الجنرال ديفيد برايس (Major David Price) من هذا المصدر ومن باقي مصنفات المؤرخين الإيرانيين عن تاريخ عصر تيمور في تأليف كتابه المعنون: "نظرة متسلسلة لتاريخ المسلمين" (Chronological Retrospect of Muhamedan History) المطبوع في لندن عام ١٨١١.

(٧٦) . Metylene

(٧٧) . Gattilusio

(٧٨) . Leon

(٧٩) . Jean de Gaunt

(٨٠) . Isabelle

(٨١) . Grenade

(٨٢) . Guadal Quivir

(٨٣) . Aragon

(٨٤) . Martin I

(٨٥) . Eleanor

(٨٦) . حواشي لسترنج: ذكر ناشر رحلة كلافيخو أرغوت دي مولينا (Argote de Molina) في مقدمته على تلك الرحلة التي طبعها سنة ١٥٨٢ م (٩٩٢ هـ) أن تيمور كان قد أرسل لهانري مع المجوهرات جاريتين مسيحيتين كانتا مستخدمتين في بلاط السلطان بايزيد المهزوم. أحدهما كانت تسمى "ماريا" والأخرى "أنجلينا". قيل إن أنجلينا كانت من أبوين يونانيين، وماريا كانت ابنة "الكونت جان" وحفيدة ملك هونغاريا. ولعل هذين الجاريتين كانتا في الأسر منذ حرب "نيكوبوليس" الذي انهزم فيه المسيحيين. وقد وصل هاتين السيدتين سالمتين إلى إسبانيا رفقة السفراء الإسبان وتزوجتا من بعده مع أشراف إسبانيا، ولعل ملك إسبانيا هو من تكفل بمصاريف زواجهما. وقد ورد اسماهما في الأشعار الإسبانية في ذلك الحين. فقد نقل أرغوت دي مولينا شعراً في وصف ماريا الهونغارية التي كانت امرأة فائقة الجمال يبدو أنه قد ذكر في مصدر آخر أيضاً. وقد صدر هذا الشعر عن لسان الدون "بايو غوميز دي سوتو مايور" (Payo Gomez de Soto Mayor) الذي رحل معها إلى "خودار" (Jodar). هذا الرجل قد تزوج من ماريا لاحقاً. وخودار ناحية على بعد ستة فراسخ من منطقة "خوان" شمال غرناطة وإشبيلية. وكان بايو دي سوتو مايور أحد سفيري ملك إسبانيا قد عبر بهاتين المرأتين من هنا وصولاً بالبلاط الإسباني. وفي الواقع فإن هذا الزوج كانا قد سافرا معاً قبل زواجهما من أنقرة حتى إسبانيا وكانا يشاهدا بعضهما البعض يومياً ولعل هذا الأمر قد أوقعهما في الحب الذي انتهى بزواجهما.

عند نبع خودار (Enla fontana de Jodar)

رأيت تلك الفتاة ذات العينان الجميلتان (Vi a la nina de ojos bellos)

وقد مت من الصدمة الأبدية لتلك العينين (E finqe ferido dellus)

ولم أعش حتى لساعة واحدة. (Sin tener, de vida, un hora)

وقد تزوجت تلك الفتاة اليونانية أي أنكلينا من الدون ديغو غونزاليس دي كونتريراس (Diego Gonzales de Contreras) الذي أصبح حاكم منطقة شقوبية (Segova). وقد تكلم أرغوت دي مولينا بإسهاب في كتاب آخر عن أسرة كونتريراس. هذا الكتاب يدعى: "تاريخ نبلاء الأندلس" (Historia de la Nobleza del Andaluzia) وقد طبع في إشبيلية سنة ١٥٨٣ م (٩٩٣ هـ) فقد نقل شعراً عن أحد الشعراء المعاصرين له يدعى فرانسيسكو إمبريال (Francisco Imperial) الذي قال فيه:

هل هذه الفتاة من التتار أم اليونان (Ora sea Tarta o Grega)

ومما شاهدته لا يمكنني البت فيه (En cuanto la puda ver)

إلا أنها قد أثرت فيّ بشكل كبير (Su disposicion no niega)

مما يجعلني لا أتردد في أنها ابنة نبلاء. (Grandioso nomble ser)

(٨٧) Alfonso Paez .

(٨٨) Caraque .

(٨٩) Barque أو Fusta .

(٩٠) Galloit .

(٩١) Studin .

(٩٢) . حواشي لسترنج: هناك خارطة لمدينة القسطنطينية توجد في كتابَي "فان ميلينغ": "قسطنطينية بيزنطة وأسوارها" (Byzantine Constantinople and the walls) (طبع لندن في سنة ١٨٨٩) و"الكنائس البيزنطية في القسطنطينية" (Byzantine Churches of Constantinople) (طبع لندن في سنة ١٨١٢).

(٩٣) . م. ف.: Longinus هو الذي كان قد طعن المسيح بالرمح في جنبه الأيمن.

(٩٤) . م. ف.: يهوذا الأسخريوطي: كان من حواريي عيسى وقد سلمه إلى الأعداء بعد أن أخذ منهم الرشوة.

(٩٥) Treves .

(٩٦) . م. ف: لوقا: من حواريي المسيح وينسب إليه أحد الأناجيل الأربعة. كان من مدينة أنطاكية وتوفي سنة ٧٠ للميلاد.

(٩٧) Pera .

(٩٨) Blachernac .

(٩٩) Stanbul .

(١٠٠) Alexis Comnenus .

(١٠١) . حواشي لسترنج: يمكن للقراء مراجعة كتاب "بلدان الخلافة الشرقية" (Land of The Eastern Caliphate) (طبع كامبريدج في سنة ١٩٠٥) تأليف كاتب هذه السطور لمعرفة المراحل التي تقع بين طرابزون وسمرقند، ويمكنهم أيضاً النظر في كتاب نزهة القلوب الذي يحتوي على الوصف الجغرافي لمنطقة غرب آسيا في الربع الأول من القرن الثالث عشر. وكان مصنف هذا الكتاب الأخير أي نزهة القلوب حمد الله المستوفي قد توفي قبل ولادة كلافيخو بسنوات قليلة. وقد طبع النص الفارسي للكتاب مع الترجمة الإنجليزية. ينظر لسلسلة منشورات موقوفة جيب، الدورة الأولى من المنشور الثالث والعشرون (الجزء الأول: ١٩١٥ والجزء الثاني: ١٩١٩). وقد طبع هذا الكتاب في لندن من قبل الناشر "لوزاك" (Lusac).

(١٠٢) . م. ف.: هو نهر "تجن" الحالي.

(١٠٣) . م. ف.: الحمراء: من قصور ملوك المسلمين في إسبانيا (الأندلس) التي ورد ذكرها في النصوص التاريخية والأدبية الأوروبية كثيراً.

(١٠٤) . م. ف.: القاقم: ابن عرس صغير قصير الذيل.

(١٠٥) . م. ف.: وفق التقويم الحالي فإن يوم عيد الميلاد للسيد المسيح يوافق اليوم الخامس والعشرين من كانون الأول أي ستة أيام قبل نهاية السنة.

(١٠٦) . م. ف.: Anti Pope أو مدعو البابوية: كان يطلق على أشخاص إدعوا خلافة السيد المسيح من غير وجه حق والكنيسة الرومية لم تعترف بهم أيضاً. وكان بعض ممن يرشح من قبل رجال دين أو فرق سياسية يقومون بمثل هذه الدعوى. وكان عدد هؤلاء المدعين في التاريخ بلغ ٢٨ شخصاً أو ٣٢ أو ٣٥ أو ٣٦ وفق روايات مختلفة. وكان أول من ادعى البابوية في التاريخ رجل يدعى Novatian وكان إدعائه لهذا المنصب في عام ٢٥١ م. وفي عام ١٣٧٨ م عمل كليمنت السابع (Clemant VII) ضد بونيفاس التاسع (Boniface IX) البابا الثاني وادعى البابوية.

(١٠٧) . Savana

(١٠٨) . Alfonso Paez

(١٠٩) . حواشي لسترنج: مشجرة نسب أسرة تيمور... ﴿ينظر: الملحق الثالث: مشجرة نسب أسرة تيمور (الباحث)﴾

(١١٠) . حواشي لسترنج: عندما توضع مفردة "ميرزا" بعد الأسماء في زماننا فهي تدل على أن الرجل من الأمراء، وإذا جاءت قبل الأسماء (مثل سليمان ميرزا) فهي تدل على أن الرجل المعني إنسان مثقف. وهذا الأمر أصبح شائعاً منذ العصر الصفوي في القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري)؛ وعليه لا يمكننا في عصر كلافيخو أن نحكم أن سليمان ميرزا كان أميراً أم لا، كما أننا نجد أن كلافيخو قد ذكر أسماء أشخاص كثر في رحلته كانوا يحملون لقب ميرزا بعد أسمائهم إلا أنهم لم يكونوا أمراء.

(١١١) . Alcala de Henares

(١١٢) . Fray Alfonso Paez de Santa Maria

(١١٣) . حواشي لسترنج: ينظر:
Nicolas Antonio: Bibliotheca Hispana Vestus
هناك تفاصيل تتعلق بمؤلف الكتاب الذي نتكلم عنه ورد تحت عنوان: " Roderico Gundisalvia Clavijo" (ج ٢، ص ١٣٠، في عام ١٢٩٦ م). وفي ترجمته التي أوردها "بائينا" (Jose Antonio Alvarez Baena) في كتابه "رجال مدريد" (Hijos de Madrid) (ج ٤، ص ٣٠٢، طبع مدريد، في سنة ١٧٩١) ذكر بالخطأ أن كلافيخو هو الوحيد من بين السفراء المرسلين لبلاط تيمور الذي عاد من رحلته، في حين نرى أن القس المختص في اللاهوت قد عاد من سفره أيضاً.

(١١٤) . Jeanne de Portugaise

(١١٥) . La Beltraneja

(١١٦) . Capilla del Obispo

(١١٧) . Argote de Molina

(١١٨) Don Pascual de Gayangos .

(١١٩) . حواشي لسترنج: هذه المخطوطة الثمينة التي تعود للقرن الخامس عشر محفوظة في مكتبة مدريد الوطنية (Madrid National Library) وتحمل الرقم Bb 72/9218، وقد ذكرها غاياردو (B. J. Galliardo) في بحثه عن الكتب النادرة والفريدة في مكتبة مدريد (Ensayo de una Biblioteca Española de libroraros y curiosos) المطبوع في مدريد سنة ١٨٦٦ (ينظر للجزء الثاني، الملحق، ص ٦٦). والنسخة التي نسخها مولينا في القرن السادس عشر عنها محفوظة أيضاً في مكتبة مدريد الوطنية وتحمل الرقم ١٨٠٥٠.

(١٢٠) . حواشي لسترنج: ورد عنوان الكتاب هكذا:

(Ruy Gonzalez de Clavijo Itineraire de l'Ambassade Espanola a Samarcande en 1403-1406)

"روي غونزاليز دي كلافيخو، رحلة السفراء الإسبان إلى سمرقند من عام ١٤٠٣ إلى ١٤٠٦"

هذه النسخة من الرحلة قد طبعت في الجزء الثامن والعشرين (Sbornik) مع مختصر باللغة الروسية وتعليقات أكاديمية سان بطرسبورغ الملكية في عام ١٨٨٢.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المراجع العربية والمعرّبة:

بولو، ماركو:

رحلات ماركو بولو، ترجمها إلى الإنجليزية: وليم مارسدن، ترجمها إلى العربية: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، (القاهرة ـ ١٩٩٥).

الصياد، فؤاد عبد المعطي:

المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، (بيروت ـ د.ت).

عقيقي، نجيب:

المستشرقون، دار المعارف، ط ٣، (القاهرة ـ ١٩٦٥).

عوض، محمد مؤنس أحمد:

الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩ - ١١٨٧ ميلادية، مكتبة مدبولي، (القاهرة - ١٩٩٢).

لسترنج، كي:

بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية: بشير فرنسيس وكوركيس عوّاد، انتشارات الشريف الرضي، (قم - ١٤١٣).

محمود، هنادي السيد:

حركة الحج إلى مملكة بيت المقدس الصليبية في القرنين ١٢ و١٣، دار الآفاق العربية، (القاهرة - ٢٠١٣).

هلال، عادل إسماعيل محمد:

العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (القاهرة - ١٩٩٧).

وود، فرنسيس:

ماركو بولو هل وصل إلى الصين؟، ترجمة: فاضل جتكر، مراجعة: زياد منى، قَدْمُس للنشر والتوزيع، (دمشق - ١٩٩٩).

يوسف، جوزيف نسيم:

العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، دار الكتب الجامعية، ط ٣، (د. م - ١٩٧١).

ب. المراجع الفارسية:

د كلاويخو، روي كونسالس:

سفرنامه كلاويخو، ترجمه: مسعود رجب نيا، انتشارات بنكاه ترجمه ونشر كتاب، ط ٢، (تهران - ١٣٤٤ ش.).

ج. الدوريات:

الدويهي، جبّور:

"الرحلة وكتب الرحلات الأوروبية إلى المشرق حتى نهاية القرن الثامن عشر"، **مجلة الفكر العربي**، العدد: الثاني والثلاثون، السنة: الخامسة، معهد الإنماء العربي، (بيروت - ١٩٨٣).

الرويعي، حيدر جاسم:

"تطور مفهم الشرق في الفكر الأوربي من خلال كتابات الرحالة الأوربيين"، **مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية**، المجلد: ١٠، العدد: ٣ ـ ٤، كلية التربية ـ جامعة القادسية، (الديوانية ـ ٢٠١١).

زيادة، نقولا:

"الغرب يشرّق"، **مجلة الفكر العربي**، العدد: الحادي والثلاثون، السنة: الخامسة، معهد الإنماء العربي، (بيروت ـ ١٩٨٣).

شمس، طارق:

العلاقات الأوروبية المغولية وتأثيرها على المشرق الإسلامي، **مجلة دراسات استشراقية**، العدد: ٤، السنة: الثانية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ـ العتبة العباسية المقدسة، (كربلاء ـ ٢٠١٥).

د. الرسائل والأطاريح الجامعية

محمد، رياض عبد الله:

العراق وبلدان الخلافة الشرقية في مؤلفات المستشرق البريطاني كي لسترنج دراسة تحليلية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، (جامعة تكريت ـ ٢٠٠٥).